المدخل
إلى الثقافة الإسلامية

أحمد بن عبد العزيز الحليبي آل ابن زيد
أستاذ الثقافة الإسلامية بجامعة الملك فيصل – متقاعد

١٤٤٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة و السلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين **وبعد** :

فإن الثقافة الإسلامية في حقيقتها تمثل الصورة الحية للأمة المسلمة، فهي التي ترسم ملامح كينونتها وشخصيتها ، وهي التي تحدد موقعها في عالم الوجود وتضبط سيرها في الحياة ، فالثقافة الإسلامية هي مركز الاتصال بين كل جوانح المسلم ؛ عقله وقلبه وفكره، كما تعد الجسر الذي يربط بين الماضي والحاضر ؛ بل وتأخذ الخطو نحو المستقبل المنشود ، وتزود العقول بالحقائق الناصعة عن هذا الدين، وتذب عن الدين هرطقات خصومه وأباطيلهم وتكشفها .

والثقافة الإسلامية هي عين الناقد البصير ، فهي التي تربى في المسلم ملكة النقد الصحيح التي تقوِّم المبادئ والنظم تقويماً صحيحاً ، وتجعله يميز بين الغث والسمين، فيأخذ النافع الخير، ويطرح الفاسد الضار.

وإذا كان تحصيل سائر العلوم الأخرى ضرباً من الاستزادة في المعارف، فعلم الثقافة الإسلامية يتجاوز ذلك لينفذ إلى القلب فيحرك المشاعر، ويفجر في روح المؤمن تلك الطاقة الفياضة التي تشده شداً قوياً إلى عقيدته ، وتراث أمته ، ويعمق فيه روح الولاء لأمته الرائدة التي أكرمها الله بهذه الرسالة الهادية ، فهو الينبوع الصافي الذي يسوق العقول إلى موارد الحق وإلى الصراط المستقيم ؛ لأنه علم مستمد من كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وتراث علماء المسلمين .

ومما لا شك فيه أننا بالثقافة الإسلامية الأصيلة نستطيع أن نحصن أبناءنا ، ونغرس فيهم الثقة بالنفس ، ونبني فيهم العزة بالإسلام ، فهي تصوغ فيهم فكرا وسطياً ناضجاً ، وتمنحهم تصوراً متكاملاً سليما ، ونظرةً صحيحةً شاملةً للحياة والكون والإنسان ، كما أنها تنافح كافة الأفكار والأيدلوجيات الهدامة وتفند مزاعمها ، وترد عليها ، وتكشف حقيقة

المكايدات والشبهات التي حيكت وتحاك ضد الأمة الإسلامية من قبل خصوم الإسلام وأعدائه.

وقد تم إعداد هذا الكتاب ليكون ملائما للمرحلة الجامعية بحيث يطلع الطالب على مصادر ثقافته الإسلامية، ومنابعها الأصيلة ، وأهميتها ، ويحاور في دائرة قضايها المعاصرة ، والله أسأل أن يوفق أبناءنا الطلاب والطالبات.

وصلِ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الباب الأول

تعريف الثقافة وعلاقتها بغيرها

الفصل الأول : تعريف الثقافة :

تعددت تعريفات كلمة الثقافة، وتنوعت بحسب منطلقات وخلفيات قائليها، وسنورد فيما يأتي المعنى اللغوي للثقافة، ثم المعنى الاصطلاحي لها ، وتعريف علم الثقافة الإسلامية :

١ . معنى الثقافة في اللغة

كلمة ثقافة مشتقة من (ثقف) ، والثقف هو إقامة دَرْء الشيء[١].

وتستعمل في اللغة في معان كثيرة ، منها : الحذق والفطنة والفهم والظفر والإدراك وسرعة الأخذ والتعلم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[٢] أي إن تظفر بهم في الحرب ، وقوله تعالى : ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ ﴾[٣]، ويقال: طلبناه وثَقِفناه في مكان كذا ، أي أدركناه ، ومنه ثَقِفتَ العلم في أقصى مدة إذا أسرعتَ أخذه[٤].

وبتتبع المعاجم والقواميس العربية يتبين أن كلمة (ثقافة) تستعمل في الأصل في المعاني السابقة ، وأكثر استعمالها فيها ؛ ولكنها أيضا تستعمل في معان أوسع قريبة من مصطلح الثقافة المعاصر ؛ لعلها أصل له :

تطلق على إدراك العلم وسعة المعرفة والإلمام بما يُحْتَاج إليه منهما مع ضبطه ، منه ما ورد في معجم مقاييس اللغة : (رجل ثقف لقف، وذلك أن يصيب علم ما يسمعه على استواء)[٥] بمعنى : ممسك بما يظفر به من علم ، ويؤيد هذا المعنى قول ابن السكيت : (رجل

( ) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ١/ ٣٩٥. وذرء الشيء : ميله ، قال الفيروزآبادي في القاموس ١/ ١٤: الدرء : هو الميل والعوج في القناة ونحوها .

( ) سورة الأنفال / ٥٧. ٢

( ) سورة البقرة/ ١٩١ ٣

( ) الزمخشري، أساس البلاغة ١/ ٦٤.

( ) ابن فارس ١/ ٣٨٢. ٥

ثقف لقف) إذا كان ضابطا لما يحويه قائما به(1)، ومنه حديث الهجرة : (يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقف)(2)، والمراد : أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه ، ومنه قول أم حكيم(3) بنت عبد المطلب : (إني حصان فما أكلم ، وثقاف فما أعلم)(4) أي واسعة المعرفة فيما تحتاج إليه .

يوصف بها الملم بعدد من المعارف والفنون ، ويؤيد هذا المعنى قول أبي زياد : (رجل ثقف لقف رام راو)(5)، وهو قول الليث مع زيادة شاعر : (راو شاعر رام)(6) ، والرماية والشعر والرواية من أشرف العلوم عند العرب .

ب . الثقافة اصطلاحا :

إذا أردنا أن نتتبع استعمال كلمة: (ثقافة) اصطلاحا فإن ما يمكن الجزم به أن مصطلح الثقافة عرف حديثا ، وأنه لا يوجد مستند علمي يثبت أو ينفي استعمال هذه الكلمة قبل هذا العصر مصطلحا علميا ، وما بين أيدينا من معاجم وقواميس قديمة لم تزد على ذكر معانيها في اللغة العربية ، وهي معان ذات صلة وارتباط واضحين بالمدلول الشائع للثقافة ، فإدراك قدر كاف من فروع العلم ، والإلمام بعدد من المهارات التي يحتاجها الإنسان في مواقف الحياة – يؤهله بأن يوصف على طريق الاقتضاء بأنه ثَقِف ، بمعنى مثقف(7).

( ) ابن منظور ، لسان العرب ١١/ ٤٩٢.

( ) جزء من حديث طويل رواه البخاري بسنده إلى عائشة رضي الله عنها ٣/ ١٤١٩، في كتاب فضائل الصحابة ، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة .

( ) هي البيضاء ، عمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لم يثبت إسلامها . ابن هشام ، السيرة النبوية ١/ ١٨٣، وابن القيم ، زاد المعاد ١/ ١٠٤.

( ) ابن منظور ، لسان العرب ١٤/ ٤٩٢.

( ) ابن منظور ، لسان العرب ٩/ ٤٩٢.

( ) الزبيدي، تاج العروس ١٧/ ٥١ .

( ) الحليبي ، أحمد بن عبد العزيز ، ١٤١٩ هـ ، ثقافة الطفل المسلم/ ٦ ٧.

ولا نجد الأمر مختلفا عن هذا في التاريخ الأوروبي القديم فإنه يدل على أن كلمة ثقافة استعملت في العهد الروماني للدلالة على الإلمام بقدر من العلوم الإنسانية كالدين واللغة والآداب ، كما استعملت لديهم للدلالة على الفنون غير العملية وغير الطبيعية()؛ بل يقال إن (شيشرون ١٠٦ ـ ٤٣ ق م) وهو خطيب وكاتب وسياسي مشهور كان من أوائل من استعمل هذه الكلمة بمعناها المجازي ، فقد عبر عن (culture mentis) بمعنى فلاحة العقل أو تنميته ؛ إلا أن هذا الاستعمال لم يلق رواجا في ذلك الزمن غير أن الحال تغير فيما بعد .

لكن ماذا عن استعمال كلمة: (ثقافة) مصطلحا بعد نشأة العلوم الإسلامية ، وظهور الأسماء الاصطلاحية ؟ إنه لا يكاد يجد المتتبع ما يدل على أن هذه الكلمة استعملت قبل العصر الحديث مصطلحا أو اسما يدل على علم بعينه ، وإنما بقي استعمالها وفق دلالاتها اللغوية دون أن تتجاوزها إلى دلالات أخرى ، من ذلك استعمال ابن سلام لهذه الكلمة حينما قال : (وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات)() ، فلا يمكن أن نفهم من هذه الكلمة إلا معناها اللغوي وهو الحذق والفهم والملكة وسعة المعرفة أو الثقافة الأدبية .

وقد استعملت كلمة: (ثقافة) في العصر الحاضر عند المسلمين والغربيين استعمالا واسعا شمل جميع أوجه الحياة ومختلف العلوم والمعارف ، وصار لها تعريفات اصطلاحية ، بعضها اتصف بالعموم والقرب من الاستعمال اللغوي ، وهو المهارة في أكثر من علم ، والآخر اتصف بالنوعية ، على أساس أن الثقافة نتاج العلوم الدينية والأدبية التي تملي تصورا خاصا واتجاها معينا ، وأنها أخذت اتجاها علميا تخصصيا يعنى بمحاور وموضوعات معينة .

ومن التعريفات الاصطلاحية المتصفة بالعموم : .

( ) العمري، نادية شريف ، ١٤٠١ هـ ، أضواء على الثقافة الإسلامية/ ١٤ .

( ) ابن سلام ، محمد الجمحي ، طبقات الشعراء ، شرح محمود شاكر / ٥ .

- تعريف مجمع اللغة العربية بالقاهرة أنها : (العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها)(1).
- تعريف تايلور أنها : (الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان وهو عضو في المجتمع)(2).

لكن الثقافة في واقع الحال لم تبق في نطاق المعنى العام الذي ينزع إليه تايلور الرافض لتنوع الثقافة والفوارق بين أنواعها وأشكالها(3) ؛ إذ تقيدت بشرط الملاءمة مع مجتمع الإنسان الذي يعيش فيه ، وقيمه الدينية والإنسانية(4) ، بل اتجهت أخيرا إلى مجالات محددة تعنى بقيم معينة ، ونظم محددة ، وفكر متميز ، وتتبنى منهجا شموليا يقوم على دين أو مذهب ، وفي نطاق هذا الاتجاه النوعي نجد عدة تعريفات للثقافة تجعلها خاصة بكل أمة من الأمم ، منها :

- تعريف بعض المفكرين المسلمين بأنها : التراث الحضاري والفكري في جميع جوانبه النظرية والعملية الذي تمتاز به أمة ، وينسب إليها ، ويتلقاه الفرد من ميلاده حتى وفاته.
- تعريف هنري لاوست بأنها : مجموعة الأفكار والعادات الموروثة التي يتكون منها مبدأ خلقي لأمة ما ، ويؤمن أصحابها بصحتها ، وتنشأ منها عقلية خاصة بتلك الأمة تمتاز عن سواها .

إنه يمكن بعد هذا العرض لهذه التعريفات المتصفة بالنوعية لكلمة الثقافة القول بأنها اصطلاح معاصر يجسد خصائص كل أمة ، ويبرز مقوماتها العقدية والفكرية والقيمية ، وأن مفهوم الثقافة العام والنوعي عند المسلمين والغربيين متقارب ، وإن اختلفت أساليب التعبير وصيغ التعريف .

( ) المعجم الوسيط ١/ ٩٨٠

( ) تايلر للدكتور أحمد أبو زيد٢، ضمن سلسلة نوابغ الفكر الغربي / ١٩٥.

( ) زيادة ، معن، الموسوعة الفلسفية العربية / ٣١٠. ٣١١.

( ) صليبيا ، جميل ، المعجم الفلسفي ١/ ٣٧٨.

ج . تعريف علم الثقافة الإسلامية :

تبين من خلال الدراسات أن الثقافة بمعناها النوعي ذات خصوصية ، فلكل أمة ثقافة تخصها ، وهذه الخصوصية تعود إلى المحتوى المكون لهذه الثقافة ، أو إلى المحاور التي تتناولها الثقافة بعد أن تحول هذا المصطلح إلى علم نتيجة اتجاه العصر إلى التحديد والتخصص في دراسة المعارف وتصنيف المعلومات بحيث يكون لكل علم محتوى خاص به ، ومحاور خاصة به .

وعلم الثقافة الإسلامية على هذا الاعتبار علم جديد له موضوعاته التي تختلف عن الموضوعات التي تعنى بها العلوم الإسلامية الأخرى ، ومنهجه الذي يميزه عن غيره من العلوم الأخرى ، وقد تعددت تعريفات هذا العلم منها :

أنه : (العلم بمنهاج الإسلام الشمولي في القيم والنظم والفكر ، ونقد التراث الإنساني فيها)(1)، هذا التعريف يعني أن الثقافة الإسلامية تُعْنَى بدراسة منهاج الإسلام الذي ارتضاه الله تعالى لعباده اعتقادا وعملا من حيث كونه كلا مترابطا ، يعتني بالقيم والنظم والفكر ، وفحص ما خلفته البشرية من حضارة ومعرفة ، وتقويمه إيجابا وسلبا ، ومواجهة ما يخالف الإسلام منه(2).

أنه : العلم الذي يرسم (الصورة الحية للأمة الإسلامية التي تحدد ملامح شخصيتها وقوام وجودها، وتضبط سيرها في الحياة ، وتحدد اتجاهها فيها) هذا التعريف يوضح أن الثقافة تتصف في منهجها بالشمولية في تصوير عقيدة الأمة التي تؤمن بها ، ومبادئها التي تحرص عليها ، ونظم حياتها التي تعمل على الالتزام بها ، وتراثها الذي تخشى عليه من الاندثار أو الضياع ، وفكرها الذي تعمل على نشره .

أنه : العلم الذي يبحث في مقومات الأمة الإسلامية بتفاعلاتها في الماضي والحاضر . هذا التعريف يقوم على أساس أن هذا العلم يعنى بدراسة حياة الأمة الإسلامية ، ومعالم شخصيتها ، وسمات نتاجها العلمي وآثارها الإنسانية.

( ) الطريقي ، عبد الله وآخر ، عام ١٤١٧ هـ ، الثقافة الإسلامية تخصصا / ١٢ ، ١٣.

( ) المرجع نفسه / ١٤ ، ١٦.

الفصل الثاني

علاقة الثقافة بالدين والقيم والعلم والمدنية والحضارة

علاقة الثقافة بالدين والقيم والعلم والمدنية والحضارة

قد يكون من المفيد زيادة في توضيح المقصود من الثقافة ومعرفة حدودها أن نقف على طبيعة العلاقة بين مصطلح الثقافة والمصطلحات الأخرى التي يرد استعمالها في معان ذات صلة وثيقة بمعنى الثقافة وموضوعاتها وخصائصها ، والفروق بينها ، ومن أبرز هذه المصطلحات مصطلح الدين والقيم والعلم والمدنية والحضارة ، فما طبيعة هذه العلاقة ؟ .

أ . علاقة الثقافة بالدين :

يرجع مفهوم الدين إلى المعنى اللغوي ، وهو الذل والطاعة والخضوع والانقياد لوضع معين ، هذا الوضع إما أن يكون إلهيا أو غير إلهي ، فهناك من يرى أن الدين أعم من أن يكون خاصا بالدين السماوي ؛ وأنه يشمل كل الأديان، فهو (قوة سماوية أو وثنية ، مادية أو معنوية تُعبَد وتُسيَّد وتَطَاع)[1] .

ولا ريب أن هذا التعريف ينسجم مع معنى الدين في القرآن الكريم ، فقد استعمل القرآن الكريم هذه المفردة مع الوثنية وهي ديانة لأهل مكة غير سماوية ، ومع الإسلام وهو الدين السماوي الإلهي الحق في قوله تعالى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦ ﴾[2] ووصف الله الإسلام بأنه الدين الحق الذي أظهره الله على جميع الأديان الباطلة سماوية كانت أم وضعية ، قال تعالى :﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ۝٣٣ ﴾[3].

فقد ساهمت الأديان في جميع المجتمعات في تشكيل ثقافتها ، فهي ذات حضور مؤثر في بناء الثقافة لأي مجتمع من المجتمعات ؛ مهما كان هذا الدين من الصحة أو البطلان ، وما من مجتمع إلا وقد تدين ، فالتدين فطرة خلق عليها الإنسان ، ينزع إليها ليشبع حاجة الروح

( ) عطية ، أحمد ، دائرة المعارف الحديثة / ٢١٣ .

( ) سورة الكافرون/ ٦ . ٢

( ) سورة الفتح / ٢٨ . ٣

إلى الإيمان بالمعبود ، ويستمد من هذا الإيمان عقيدته ومفاهيمه للوجود والحياة ، ويضبط به أمور حياته ، يقول هنري برجسون : (قد نجد في الماضي أو الحاضر مجتمعات بشرية لا تعرف العلم أو الفن أو الفلسفة ولكن ليس ثمة مجتمع بلا دين)(1) ، والتدين كذلك ضرورة اجتماعية يتم عن طريقها التأكيد على الإيمان بالقيم والفضائل ، والالتزام بالأحكام والقوانين التي تعنى بتنظيم شؤون الحياة .

إن هذا يوضح أثر التدين في صياغة ثقافات الأمم والمجتمعات ، وتحديد مفاهيمها ، وتكوين شخصية الأمة ، وتوضيح نظام حياتها(2) ، فالثقافة كما يرى أليوت تجسيد للدين (3) .

ويعد الدين في الثقافة الإسلامية بمصادره الصحيحة الأساس الأول الذي تقوم عليه ، وتأخذ منه مادتها العلمية والفكرية ، وتستمد منه ذاتيتها ووجهتها وتصوراتها وقوام فكرها ، وتعتمد عليه في نقد التراث البشري ومواجهة التحديات التي تعترض سبيل المحافظة على شخصيتها من الذوبان في غيرها ، وهو العاصم لها من الانحراف عن الطريق السوي ، أو الاندثار مع الثقافات الضعيفة التي لم تستطع الصمود أمام متغيرات الحياة ، أو الذوبان في غيرها من الثقافات الأخرى .

وقد تباينت النظرة إلى الدين في الغرب ، وانعكست على تحديد طبيعة العلاقة بين الثقافة والدين ، فمنهم من يرى أن الدين مختلف عن الثقافة ، ومنفصل عنها ؛ لأنه قضية ميتافيزيقية غيبية لا شأن لها بتوجيه الحياة ، وهذا الرأي يحصر الدين في الأمور الروحية دون غيرها ، ومنهم من يرى أنه جزء من أجزاء الثقافة ؛ لأنه لا يعدو أن يكون ظاهرة اجتماعية متغيرة من صناعة الإنسان وعاداته ، وهذا الرأي يجعل الدين خاضعا لعقل الإنسان ومتأثرا به ، وفي الجملة فإن هاتين النظرتين تلتقيان على قطع صلة الدين بالحياة نتيجة تبني فكر عزل الدين عن الحياة بعد ظهور الفكر العلماني في أوروبا ، مما أدى إلى إضعاف سلطان الدين في النفوس والأوضاع الاجتماعية وتوجيه الفكر .

( ) نجيب / عمارة ٤٠٠ هـ ، الإنسان في ظل الأيا ن/ ٢٥ .

( ) شهوان، رجب ، دراسات في الثقافة الإسلامية/ ١٥ .

( ) الحوفي / أحمد محمد ، وطة الثقافة والتاريخ في الشعر الحديث / ٥ .

ب – علاقة الثقافة بالقيم الحسنة :

يعود اشتقاق كلمة القيم في اللغة إلى قَوَّم بمعنى قَدَّر ، يقال : قَوَّم السلعة أي قدرها(١) ، وقد استعملت هذه الكلمة في معاني التقويم المعياري الذي ينقل الأقوال والأفعال والأشياء من حالة الاعوجاج إلى حالة الاستقامة(٢) .

والقيم الحسنة في الاصطلاح : صفة عينية حسنة كامنة في طبيعة الأقوال والأفعال والأشياء ، لا تتغير بتغير الظروف والأحوال(٣) ، أو هي : المبادي الخلقية التي تمتدح وتستحسن ، ويذم مخالفتها ويستهجن . فمن القيم القولية الصدق ، ومن القيم الفعلية الأمانة ، ومن القيم المادية الجودة .

تستعمل القيم في علم الأخلاق لقياس درجة الخير في الفعل ، فكلما كانت المطابقة بين الفعل في الواقع وقيمته الحسنة في الذهن كان أكمل.

وتعد في علم الثقافة أحد مقوماتها الرئيسة ، فأي ثقافة لا بد وأن تقوم على أساس من القيم الحسنة التي تسود مجتمعها ، وهي قيم وثيقة الصلة بالعقيدة التي يؤمن بها هذا المجتمع ، والفكر الذي يستظهره ، والسلوك الذي يسير عليه ، ونمط الحياة الذي يعيشه ، إن قيام الثقافة على هذا الأساس يجعلها تعبيرا حيا عن القيم الأساسية التي تعطي المجتمع ملامحه الصحيحة ، وتضبط حركته وفق معاييرها السديدة ، وترسم له وجهته الرشيدة ، أما إذا انفصلت الثقافة عنها فإنها ستصاب بالضمور في المفاهيم والقصور في النظم والعزلة عن الواقع ؛ لذا لا بد وأن تكون ثقافتنا متفاعلة مع قيم الإسلام أوثق تفاعل وأعمقه ، كما يجب أن تكون معيارا لتقويم الواقع ونقد التراث البشري ، لا سيما وأن قيمنا تقوم على أساس الإيمان والتقوى والعدل والموضوعية ؛ لا على أساس المادة والقوة والجنس واللون والعصبية والثراء ؛ كما هو حال القيم في ثقافات أخرى .

( ) ابن منظور ، لسا ن العرب ١/ ٣٧٨٣ .

( ) زيادة ، معن ، معهد الإنماء٢العربي ، عام ١٩٨٦م ، الموسوعة الفلسفية العربية ١/ ٦٨٢ .

( ) مجمع اللغة العربية بالقاهرة٣ ١٣٩٩ هـ ، المعجم الفلسفي ١/ ١٥١ .

ج – علاقة الثقافة بالعلم :

يطلق العلم على الصفة الراسخة التي يدرك بها الإنسان الكليات والجزئيات() ، ويقصد به : مجموعة المعارف والحقائق التي وصلت إلى الإنسان عن طريق الوحي ، أو توصل إليها من خلال تفكيره وملاحظاته وتجاربه طوال فترة حياته ، أو هو حقائق ومعلومات تحصل لكل إنسان في كل بيئة ،؟؛ لا تختلف باختلاف الأذواق ، ولا تتغير بتغير المصالح() .

إن العلم وفق هذين المعنيين تراث متراكم من المعارف والحقائق والمعلومات ، يعنى بدراسة الجزئيات ، ويتجه نحو العمق مما أدى إلى نشأة العلوم المختلفة ذات التخصص العلمي ، وتنقسم هذه العلوم إلى قسمين : الأول علوم دينية وإنسانية خاصة بأمة بعينها كعلوم الدين والأدب والتاريخ والاجتماع ، والآخر علوم تجريبية تطبيقية مشاعة ساهمت في تراكمها كل الأمم .

وتأتي علاقة الثقافة من جهة أن العلم أحد العناصر المكونة للثقافة ، والمساهمة في تشكيلها ، ولا سيما العلوم الدينية والإنسانية التي تشارك في رسم ملامح الثقافة واتجاهها وبعدها الفكري ، كما أن الثقافة تعمل على صياغة مخرجات العلوم التجريبية والتطبيقية وفق طبيعتها وخصائصها ، فالثقافة من هذا الوجه مؤثرة في العلم ومتأثرة به .

ومن هنا يتضح الفارق بين الثقافة وبين المعرفة (العلم التجريبي والتطبيقي) أن المعرفة تضم المعارف والعلوم العامة التي هي ملك للبشرية كلها ، أما الثقافة فهي ذاتية وخاصة ومتصلة بأممها ، لا تنفك عنها.

وتتميز الثقافة الإسلامية على غيرها من الثقافات أنها ترتكز على دين يدعو إلى التعلم ، ويحث أتباعه على التأمل ويفتح أبواب التفكر في هذا الخلق الواسع المليء بالسنن الكونية والقوانين العلمية ، يقول العقاد : (فضيلة الإسلام الكبرى أنه يفتح للمسلمين أبواب المعرفة ، ويحث على ولوجها والتقدم فيها ، وقبول كل مستحدث من العلوم على تقدم الزمن ، وتجدد أدوات الكشف ووسائل التعليم ، وليست فضيلته الكبرى أنه يقعدهم عن الطلب ،

( ) الجرجاني ، علي بن محمد عام ٤٠٣ هـ ، التعريفات / ١٥٥ .

( ) عليا ن، شوكت محمد ، عام ٤١٥ هـ ، الثقافة الإسلامية وتحديات العصر/ ١٩ .

وينهاهم عن التوسع في البحث والنظر ؛ لأنهم يعتقدون أنهم حاصلون على جميع العلوم)[1].

إن الثقافة هي القالب الذي يجتمع فيه الدين والعلم والفكر والقيم ، وتتشكل في داخله ثقافة المجتمع ، ولا ريب أن الصورة الناتجة عن هذا التشكل لن تكون واحدة لكل الناس والشعوب والأمم ؛ لأن العناصر المجتمعة في هذا القالب مختلفة حسب كل بيئة منها .

د – علاقة الثقافة بالمدنية :

اشتقت المِدَنِية من مَدَنَ بالمكان أي أقام[2] واستقر، وكلمة المِدَنِية حديثة ، وهي رديفة لكلمة العمران التي استخدمها ابن خلدون في مقدمته .

وهي في الاصطلاح على ارتباط وثيق بالمعنى اللغوي ؛ لأنها أصبحت تطلق في الوقت الحاضر على مظاهر الحياة الاجتماعية المتمثلة في قيام التجمعات السكنية والإنتاجية والترفيهية ، أي أنها تعني : نمط الحياة في المدينة مع كل ما يستلزمه هذا النمط من الإنشاءات المادية والاجتماعية والفكرية والتنظيمية ، وما ينجم عنه من علاقات وتراكيب لا تعرفها حياة الترحل أو حياة الريف[3] ، أو أنها تعني : جملة أساليب الحياة المادية والمعنوية الراقية التي تنشأ عن الاستقرار في المدن .

إن سعة هذه التعريفات قد توحي بترادف كلمة المِدَنِية لكلمة الثقافة ذات المعنى الشمولي[4] ، وحقيقة الأمر أن الثقافة تختلف عن المدنية ، فالثقافة تمثل الجانب الروحي والعقلي والقيمي ، أما المِدَنِية فيغلب عليها الجانب المادي الذي يظهر في تنظيم المدينة ومرافقها ومؤسساتها الاجتماعية ، وفي تنظيم المنزل وأثاثه وأجهزته ، وفي نمط العلاقات الاجتماعية التي تربط أفراد الأسرة والمجتمع والعادات والتقاليد ؛ إلا أن هذا الاختلاف لا يعني بحال عدم تأثر المِدَنِية بالثقافة ، فإننا نلحظ أن الجوانب المادية في حياة الإنسان لا

( ) العقاد ، عباس محمود ، عام ١٩٨١م ، الفلسفة القرآنية / ٢١ .

( ) ابن منظور ، لسان العرب ٢/ ٤١٦٠ .

( ) زيادة ، معن ، معهد الإنماء العربي ، عام ١٩٨٦م ، الموسوعة الفلسفية العربية / ٧٣٦ .

( ) زيادة ، معن ، معهد الإنماء العربي ، عام ١٩٨٦م ، الموسوعة الفلسفية العربية / ٧٣٦ .

يمكن أن تكون منفصلة عن جوانبه المعنوية ، فتنظيم المدينة والمساكن والمرافق لا بد وأن يكون منسجما مع معتقدات الإنسان ونظم حياته ، كما أن العادات والتقاليد التي قد تظهر في جوانب مادية لا بد وأن تكون متفقة مع ما يؤمن الإنسان به ويتصوره ، مثل حقوق الجار وزي المرأة ، مما يدل على أن هناك علاقة تتمثل في تأثير الثقافة في تشكيل مظاهر المِدَنِية وأساليب الحياة فيها ، وهو ما يمكن ملاحظته بين مَدَنِية وأخرى .

إن العلاقة بين الثقافة والمِدَنِية وثيقة متجسدة في هذا التأثر ، وهي حاضرة في حياة المجتمعات والأمم ؛ لأنه لا يمكن تصور ثقافة من غير مَدَنِية ، أو مَدَنِية من غير ثقافة ؛ إذ هو تصور نظري بعيد عن الواقع التاريخي(١) .

هـ – علاقة الثقافة بالحضارة :

للحضارة عدة تعريفات ، فقد عرفت على أنها : (جملة مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي التي تنتقل من جيل إلى جيل في مجتمع أومجتمعات متشابهة)(٢) ، أو أنها : (المحصلة العليا للمكتسبات والإنجازات الإنسانية في كافة الميادين)(٣) .

ولا ريب أن كلمة الحضارة وفق هذه التعريفين أصبحت ذات معنى أوسع من كلمة عمران عند ابن خلدون التي تعني نمط الحياة في المجتمعات العامرة ، ومن المستغرب أن هذا المصطلح لم يظهر في معاجم الغرب وقواميسه إلا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي(٤) ، ثم أصبح بسرعة فائقة ذا بعد علمي وواقعي ونفسي يزداد كل يوم سعة وتأثيرا في حياة الإنسان وحياة المجتمعات .

إن هذين التعريفين يكشفان قدر الصلة بين الثقافة والحضارة ، الواضح في المعنى المشترك الذي يجمع بين المصطلحين ، والمتمثل في أن كل مصطلح منهما يحقق مكتسبا للإنسان ، يتمثل في الخبرة والمعرفة ومظاهر الرقي التي يستخدمها الإنسان في مختلف أنشطة حياته(٥) ،

( ) العمري، نادية شريف ، عالم ٤٠١ هـ ، أضواء على الثقافة الإسلامية / ١٦ .

( ) مجمع اللغة العربية بالقاهرة ،عام ٣٩٩ هـ ، المعجم الفلسفي / ٣٧ .

( ) زيادة ، معن ، معهد الإنماء العربي ، عام ١٩٨٦م ، الموسوعة الفلسفية العربية / ٣٧٤ .

( ) زيادة ، معن ، معهد الإنماء العربي ، عام ١٩٨٦م ، الموسوعة الفلسفية العربية / ٣٧٤، ٣٦٩ .

( ) علي ان، شوكت محمد ، عالم ٤١٦ هـ ، الثقافة الإسلامية وتحديات العصر / ١٦ .

هذه الصلة المعنوية تظهر قوة الارتباط بين المصطلحين في جوهرهما ؛ وهي ما يعبر عنها مالك بن نبي – وهو ممن لا يرى فرقا بين الثقافة والحضارة – في قوله : (إن أي تفكير في مشكلة الحضارة هو في جوهره تفكير في مشكلة الثقافة ، وبهذا تكون الحضارة في جوهرها عبارة عن مجموعة من القيم الثقافية المحَقَّقة ، وأن مصير الإنسان رهن ثقافته)(١) .

لقد كان مالك بن نبي يستهدف من هذا الربط بين المصطلحين إلى درجة من الانسجام المتكامل بحيث ينوب أحدهما عن الآخر – التأكيد على الاستفادة من علم الثقافة الإسلامية في أن يصبح منهجا تربويا للأشخاص ، يقوم بتسخير الإمكانات اللازمة في بناء حضارة مهتدية بالوحي ، ترتكز عليه في تجلية المفاهيم وتحديد أساليب الحياة ، ويستهدف أيضا تفادي السير في طريق التجاهل أو الاستبعاد الذي سارت عليه أوروبا في أعمال حضارتها ؛ مما أدى إلى تحولها إلى حضارة مادية الغاية والوسيلة(٢) ، ويستهدف أيضا الحذر من تكرار الوقوع في الخطأ الذي وقعت فيه الأمة الإسلامية في عصورها الأخيرة ؛ حينما حصل انفصام بين مفهوم الثقافة والحضارة أدى إلى تلكؤ في تحقيق الإنجازات المادية وانحطاط فيها ، ولا ريب أن هذا الانفصام كان حدثا في تاريخ المسلمين ؛ لأن الإسلام (ينظر إلى الإنسان وكل ما يتصل به من معرفة وسلوك ، وكل ما يعيش فيه من نظم مادية وقيم معنوية وحدة متكاملة ، وليس هناك من سبيل إلى فصل أجزائها ؛ لأن التقدم الروحي يؤثر هو الآخر في المادة ، فليس الإنسان في حياته مجرد روح لا تتأثر بالجسد)(٣) .

إن سمات الحضارات وفق مفهوم مالك بن نبي مختلفة على حسب اختلاف عقائد الأمم ؛ لأن الحضارة منبعثة من العقيدة الدينية ، فلكل حضارة أصلها الديني الذي بعثها ؛ لذا ليس من الغلو عنده أن نجد في تاريخ البوذية بذور الحضارة البوذية ، وفي البرهمية نواة الحضارة البرهمية(٤) ، فكل حضارة تحتوي على العناصر الثقافية للأمة التي تنتمي إليها .

( ) نبي ، مالك ، عام ١٤٠٤هـ ، مشكلة الثقافة / ١٠١ .

( ) الملقي ، هيام ، عام ١٤١٥هـ ، ثقافتنا في مواجهة الانفتاح الحضاري/ ٣٢ .

( ) علوان ، شوكت محمد ، عام ١٤١٦ هـ ، الثقافة الإسلامية وتحديات العصر / ١٨

( ) نبي ، مالك ، عام ١٤٠٥ هـ ، شروط النهضة / ٥٠ .

وإذا كان مفهوم الحضارة رديفا لمفهوم الثقافة وفق رأي مالك بن نبي فإن هناك من يرى أن مفهوم الثقافة مختلف ومتميز عن مفهوم الحضارة ، فالحضارة عند أصحاب هذا الرأي تعني التقدم المادي الصناعي والزراعي الذي يستخدمه الإنسان في رقي حياته ؛ سواء كان أصيلا أم مقتبسا ، ولا نكارة في الاقتباس ؛ لأن من حق كل أمة أن تقتبس الجانب المادي لحضارة أمة أخرى بوصف الحضارة أدوات ووسائل ومواد أولية ، أما الثقافة فهي تعبر عن الجوانب الروحية والعقلية في التقدم الإنساني التي لا يصح أن تقتبس من أمة أخرى ؛ لأن الثقافة ذاتية وخاصة بكل أمة وحدها() ، وهناك من يرى أن الحضارة أعم من الثقافة وأشمل ، ذلك أن الحضارة تشمل الثقافة والمِدَنِيَّة معا ، ولهذا الرأي وجهته ؛ لأن مفهوم الحضارة الواسع في العصر الحاضر لم يعد قاصرا على الرقي المادي فحسب ؛ بل يشمل المعنوي أيضا .

( ) علي ن، شوكت محمد ، عام ٤١٦ هـ ، الثقافة الإسلامية وتحديات العصر / ١٦، والعمري، نادية شريف ، عام ٤٠١ هـ ، أضواء على الثقافة الإسلامية / ١٦.

الباب الثاني

علم الثقافة .. النشأة . المنهج . الأهمية . الخصائص

الفصل الأول

نشأة علم الثقافة الإسلامية ومنهجه

أ – نشأة علم الثقافة الإسلامية:

نشأ علم الثقافة حديثا ؛ لكن هذا لا يعني أنه لم يكن له واقع في حياة الناس ، أو حضور في المجتمعات قبل هذا العصر ، إن التاريخ يشهد بأن (الثقافة واقع اجتماعي ظل زمنا طويلا دون تحديد ، أي ظل مجرد شيء حاضر عارٍ عن التسمية ، ولم يتح له أن يصبح فكرة)(١) محددة وعلما منضبطا إلا في العصر الحديث .

- **ثقافة العرب قبل الإسلام :**

لقد كان للعرب في الجاهلية ثقافة ، هي مزيج من الموروثات المتمثلة في بقايا دين إبراهيم عليه السلام، وفي الشعر الذي كان ديوانا للعرب ومرآة لحياتهم ، حفظ لنا تصوراتهم ، وسجل لنا واقع نظام معيشتهم ، وفي الخطب والأمثال والحكم والقصص والأعراف والتقاليد ، وكانت أسواق عكاظ وذي المجاز وذي المجنة منتديات للثقافة والأدب ، وقد اختلط هذا المزيج بثقافات الأمم المجاورة، كثقافة الهند وفارس والروم والأقباط واليونان التي انتقلت إليهم عن طريق الرحلة والتجارة ، فعن طريق هذا الاتصال الثقافي – مثلا – انتقلت مفاهيم الوثنية إلى بلاد العرب ، وكان أول من جلب الأصنام إلى مكة عمرو بن لحي ، فتكونت لدى العرب مفاهيم خاصة كمفهوم الشرك، والطِّيَرة(٢)، والتنجيم(٣)، وصارت لهم نظم اجتماعية

( ) الملفي ، هيام ، عام ١٤١٥هـ ، ثقافتنا في مواجهة الانفتاح الحضاري/ ٣٤.

( ) الطيرة: مأخوذة من التطير ٢وهو التشاؤم ، قال في حاشية الروض المربع: الطيرة مأخوذة من الطير لأن الإنسان يتطاير بما يتشاءم به ، وأصله أنهم كانوا في الجاهلية إذا خرج أحدهم لحاجة فإن رأى الطير طار عن يمينه هنئ به واستمر ، وإن طار عن يساره تشاءم به ورجع ، وربما هيج الطير ليطير ، فيعتمد ذلك ، ويصح معهم في الغالب تزيين الشيطان لهم . راجع: حاشية الروض المربع ٤/ ٤٨٩

( ) التنجيم: مأخوذ من النجم٣ وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية ، بمعنى أن يربط المنجم ما يقع في الأرض ،أو ما سيقع في الأرض بالنجوم بحركاتها ، وطلوعها ، وغروبها ، واقترانها ، وافتراقها وما أشبه ذلك ، والتنجيم نوع من السحر والكهانة وهو محرم ؛ لأنه مبني على أوهام لا حقيقة لها. راجع: العثيمين ، محمد بن صالح ، مجموع فتاوى ورسائل ٤/ ١٩٠.

وقانونية تميزوا بها عن غيرهم من الأمم فيما يتصل بالمرأة والعصبية للقبيلة والفخر بالأحساب والأنساب والإرث والجنايات .

لكن هذا لا يعني أن ثقافتهم كانت مبنية على علوم ومعارف، أو مؤسسة على قاعدة أو نظرية علمية ، فهم في جمهورهم بدو ، ليسوا أصحاب علم ، ولا نظر عقلي قائم على أسلوب علمي ، من أجل ذلك شاعت عندهم العِيافة ، وهي التنبؤ بملاحظة حركة الطيور ، فتيامنوا بها إن جرَت يمنة ، وتشاءموا بها إن جرَت يسرة ، وهذا يدل على أن التسبب العقلي عندهم كان ضعيفا ، وأنهم لا يحسنون ربط المسببات بأسبابها ربطا محكما ، ولا التعمق في بحث الأشياء ، مما جعل حياتهم فطرية ساذجة ، وتفكيرهم متعلقا بظواهر الأمور().

- **أثر الإسلام في بناء الثقافة ونشرها:**

لكن ثقافة العرب في الجاهلية لم تبق على ما كانت عليه بعد أن ظهر الإسلام في جزيرة العرب ، فقد أحدث تغييرا في جوهر هذه الثقافة ومصادرها ووجهتها ، وساهم مساهمة مشهودة في بنائها من جديد ، على أسس ترتكز على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وشجع على تطوير هذه الثقافة بعد أن ارتسمت صورتها ، واتضحت معالمها ، وعمل على نشرها من وجوه عدة :

١. عن طريق التعليم : فقد أمر الإسلام بالقراءة والكتابة والاستزادة من العلم ، كما في قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤﴾ [العَلَق: ١ - ٤]، وأقسم تعالى بالقلم تعظيما لشأنه ، وتنويها بأهميته في قوله تعالى : ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القَلَم: ١] ، وأمر – تعالى – أن لا يكتفي المسلم بمقدمات العلم أو ببعضه ؛ بل أمره أن يتوسع فيه ، وأن يتعمق في جوانبه : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤]، وورد أن الرسول ﷺ جعل في

( ) ضيف، شوقي، عام ١٩٦٠م، العصر الجاهلي / ٨٥.

غزوة بدر فداء بعض الأسرى الذين يكتبون أن يعلموا عشرة من صبيان المدينة الكتابة(1) ؛ مما يدل على عناية مبكرة بمحو الأمية وانحسارها .

٢. عن طريق تعلم لغات الأمم الأخرى : فقد أمر الرسول ﷺ زيدَ بن ثابت رضي الله عنه أن يتعلم اللغة العبرانية أو السريانية ، فتعلمها في سبع عشرة ليلة(2)، ولا ريب أن تعلم اللغات وسيلة من وسائل الاتصال بثقافات الأمم الأخرى ، والاطلاع عليها ، وقناة من قنوات نقل عناصر الثقافات والتأثر بها .

٣. عن طريق الفتح الإسلامي(3): والذي بدأ مبكرا ابتداء من عهد عمر رضي الله عنه حينما دخلت أجزاء من بلاد فارس والروم ومصر في حضيرة الدولة الإسلامية ، وكان من نتائج هذا الفتح امتزاج أبناء هذه البلدان ذوي الثقافات والتاريخ العريق بالمسلمين ، وانصهارهم بهم في بوتقة المجتمع الإسلامي ، ناقلين إليه عناصر مختلفة من ثقافاتهم ، مما أدى إلى حدوث انفتاح حضاري على حضارات الأمم الأخرى ، وإن كان لهذا الانفتاح بعض السلبيات ، من أبرزها تسلل بعض الآراء والأفكار الغريبة إلى المجتمع الإسلامي النقي من لوثات الشرك والفكر المنحرف ؛ إلا أن له إيجابيات ، كان من أبرزها انتقال بعض العلوم التطبيقية المفيدة كالرياضيات والطب وعلوم الطبيعة ، والتي ساهمت في بناء الحضارة الإسلامية بعد أن طورها علماء المسلمين ، وأضافوا إليها كثيرا من النظريات العلمية الجديدة ؛ لكن لا بد من التفريق بين الانفتاح الذي يؤدي إلى الأخذ من الحضارات من غير تمييز ، والانفتاح الذي يعتمد على اقتباس ما هو نافع ومفيد ، وذلك عن طريق الانتفاع بالقرآن الكريم المشتمل على العقائد والقيم والمبادئ والنظم ، ونقد تراث الأمم السابقة ، فقد ساهم القرآن بمنهجه الشمولي في تكوين ثروة ثقافية واسعة للمسلمين ، وكذلك ساهمت السنة في تحقيق ذلك .

( ) ر واه أحمد في المسند ١/ ٢٥٧، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٢/ ٢٢.

( ) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٢/ ٣٥٨.

( ) علي ن، شوكت محمد ، عام ١٤١٦ هـ ، الثقافة الإسلامية وتحديات العصر / ٢٣.

- **تطور نشأة علم الثقافة:**

لقد كان منهاج القرآن القائم على الشمولية والنقد سمة لثقافة المسلمين في القرون الأولى الذين تربوا على مائدة القرآن الكريم ، واستمدوا منها مفاهيمهم عن الإنسان والكون والحياة ، وأخذوا منها عقائدهم وتصوراتهم فيما يتصل بعالمي الغيب والشهادة ، فتكونت عندهم ثقافة لا تعرف فصل الإسلام وتجزئته ، ومن أمثلة الفهم العميق والكلي للإسلام : قول ربعي بن عامر(1) رسول المسلمين المشعر بثقافة شمولية هي أنموذج للثقافة في هذه القرون في مجلس يزدجرد(2): (الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام)(3).

إن هذه العبارة المجملة والبليغة اشتملت على معان سامية ، من أبرزها: تحرير الإنسان من جميع العبوديات ، وتمحيض العبودية لله تعالى ، وتقويض جميع الأنظمة الجائرة وإقامة نظام الإسلام العادل ، وبناء الجانب النفسي والأخلاقي بحيث تكون أهداف الإنسان أبعد مدى وأعلى من الأهداف المادية القريبة ذات الإطار الدنيوي الضيق .

استمر الفهم الشمولي للإسلام حتى بعد تدوين العلوم ابتداء من منتصف القرن الثاني الهجري ؛ إذ لم يحصر العلماء أنفسهم في هذه المرحلة في نوع من هذه العلوم ، ولم يصرفوا إليه كل أوقاتهم وجهودهم ، فنراهم قد أقبلوا على عدد منها ، ونبغوا فيها ، فكان منهم من جمع بين التفسير والحديث والفقه واللغة والأدب والتاريخ ، أو جمع عدداً منها كالشافعي وابن جرير الطبري والغزالي وابن القيم وابن كثير وابن حجر العسقلاني وغيرهم ؛ بل لم يغب هذا الفهم بالكلية حتى بعد أن طغى شأن التخصص العلمي والانهماك في جزئياته ، فقد كان هذا الفهم حاضراً لدى عدد من علماء المسلمين نلحظه في مؤلفات ابن تيمية وولي الله الدهلوي وغيرهم ممن عاشوا في عصور الانحطاط والركود العلمي .

( ) من قواد فتوحات العراق ، له ذكر في معركة نهاوند ، ولي إمارة طبخارستان ، انظر الإصابة لابن حجر ٣/ ٢٥٣.

( ) هو يزدجرد بن شهريار بن كسرى ، ولاه الفرس عليهم وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، هزمه المسلمون في جلولاء ، وفتحوا دار ملكه المدائن ، وقتله أصحابه سنة ٣١هـ . البداية لابن كثير ١٠/ ٣٠، ٦٩، ١٢٠.

( ) البداية والنهاية ، لابن كثير٣ / ٣٩.

إلا أن الأمر لم يستمر على ما كان عليه هؤلاء العلماء الموسوعيون نتيجة التطور الذي حدث في العلوم والانفتاح الحضاري على الأمم الأخرى ، فقد غلب على المسار العلمي التخصص رغبة في التوسع العلمي والإلمام بالفروع والدقائق والبحث عن الجديد والمبتكر، ثم انتهى إلى غلوٍّ في التخصص العلمي كان من آثاره ظهور الدراسات الجزئية لموضوعات مختلفة كالعقائد والعبادات والمعاملات والسلوكيات والأحوال الشخصية والجنائية ، التي أعطت كل موضوع منها اهتماماً خاصاً ، وبُعداً علمياً ، أضاع الارتباط الحيوي بينها ، وأشعر بالتباعد أو التباين بينها ؛ مما أدى إلى تجزئة النفسية والعقلية الإسلامية .

إنه لا ينبغي أن يفهم أن ذلك تقليلٌ من أهمية الدراسة الجزئية لكل علم على حدة ، كدراسة الفقه مستقلا ، ودراسة العقيدة كذلك ، وغيرهما من العلوم على هذه الصفة ، بقدر ما فيه من إشارة إلى ضرر الغلو في دراسة علم واحد مع الانصراف الكلي عن غيره ، وآثارها السلبية على تجزئة فهم الإسلام ؛ أما إذا كانت الغاية من هذه التجزئة تيسير تعلمها والتعمق في موضوعاتها، لا تأكيد الفصل بينها ، ولا فهم الإسلام عن طريق واحد منها فتلك غاية محمودة ، لا بد منها في تعلم العلوم ؛ لكنها لا تغني عن الدراسة الجامعة والنظرة المتكاملة الشاملة التي يضطلع بها علم الثقافة الإسلامية ، ويحقق من خلالها الارتباط بين هذه الأجزاء التي قد تبدو لنا في الظاهر أنها متفرقة من الناحية الدراسية ، أو من الناحية الواقعية .

إن الحاجة إلى هذه الشمولية في الدراسة والنظرة تزداد وضوحا إذا أدركنا ما يلي: –

- آثار حصر فهم الإسلام من خلال أحد العلوم كعلم الكلام مثلا ، الذي نشأ عن التعمق في مسائله الكلامية جدل عميق:، وأحدث انقساما في فهم هذه المسائل ، تحول إلى فرق وأهواء ، ساهمت في تكدير نقاء التوحيد وفساد المعتقد ، وتنافر القلوب ، وإذا كان بناء الإسلام قائما على عقيدة التوحيد ؛ فإن هذه الجدلية في قضايا العقيدة ، وإهمال الاعتماد على النصوص الصحيحة في تقرير مسائل العقيدة:، والمبالغة في التأويل ، والتعسف في فهم هذه النصوص هي من أهم الأسباب التي أدت إلى تفرق المسلمين ، وبعدهم عن دينهم الصحيح .
- آثار الجهل بتعاليم الإسلام والانعكاسات السلبية لتجزئة فهمه ساعدا معًا على تشويه صورة الإسلام في حياة المسلمين ، فقد تشوه مفهوم القضاء والقدر، والتوكل، والزهد،

والكرامة، وغيرها من مفاهيم الإسلام ، فصار مفهوم القضاء والقدر في أذهان كثير من أبناء المسلمين يعني استسلاماً للواقع وجبراً ، ينتهي بالسلبية المطلقة الملغية لإرادة الإنسان وكسبه ، وأصبح التوكل يعني ترك الأسباب وتعطيل العمل والإنتاج والإبداع ، وأضحى الزهد يعني الإقبال على الآخرة والانقطاع عن الدنيا التي أمر العبد في القرآن بأن يأخذ نصيبه منها في قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القَصَص: ٧٧]، وأبيح له أن يتمتع بطيباتها في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأَعْرَاف: ٣٢]، وغدَت حياة الناس منسوجة بكرامات الأولياء والصالحين ، مما سوغ لهم الاقتناع بأن لبعضهم قدرة على تصريف الكون ودفع المصائب ؛ ولئن كانت المعجزة التي يجريها الله للأنبياء والكرامة للصالحين استثناءً من الأصل في جريان سنن الله ، فإنه لا ينبغي أن يعول على الكرامة في إثبات حكم جديد ، أو نسخ حكم سابق بعد أن كمل الدين ، وانقطع الوحي ، وانتفَت نبوة أحد بعد رسول الله ﷺ، وإنما تثبت الأحكام للوقائع الجديدة بردها إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النِّسَاء: ٥٩]، ثم إن جريان كرامة لولي صالح لا تدل على عصمته من الوقوع في الخطأ والذنب .

● آثار التطور في سهولة الاتصال بين الناس ويسر وسائل المعرفة وتداولها في العصر الحاضر هيأ للمذاهب الغربية أن تنشر مبادئها بين المسلمين التي تسمى بـ "الأيدلوجيا" أي: الأصول العامة في الوجود والكون والإنسان، بحيث أصبحت في متناول كل مسلم راغب على

الاطلاع عليها ؛ إذ يمكنه أن يقف عليها في كتاب واحد يجمع هذه الأصول في كل النظم(1) .

لذا تنادى علماء المسلمين في هذا العصر إلى ضرورة التغلب على هذه الآثار السلبية، وتفادي أضرارها على نفسية المسلم وعقليته ونظرته للحياة ، وذلك بعرض الإسلام عرضا شموليا وفق منهاج القرآن والسنة النبوية ، وتقديم الفهم الكلي لقضايا الإسلام ونظمه في الحياة المستنير بفهم سلف الأمة وعلمائها ، وذلك عن طريق تأسيس علم جديد باسم "الثقافة الإسلامية" .

( ) الزلي ي، عبد الرحمن زيد ا مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود ، العدد الثاني ، محرم ١٤١٠ هـ ، مدخل إلى علم الثقافة الإسلامية/ ٩٣ .

مراحل تطور علم الثقافة الإسلامية:

بعد هذا العرض يمكن إجمال المراحل التي مر بها هذا العلم وتطوره إلى أربع مراحل:

المرحلة الأولى: ما قبل تدوين العلوم: ويراد بها مرحلة النظرة الشمولية للإسلام السائدة في القرن الأول والثاني الهجريين ، والمستمدة من نصوص القرآن الكريم في خطابه الشامل لجميع شؤون الحياة ، وأسلوبه المختلف عن أسلوب العلم القائم على التقسيم إلى أبواب وفصول ومسائل ، فالآية القرآنية تتناول عددا من الجوانب في نسق واحد ؛ وتخاطب الإنسان بوصفه الكلي المركب الذي يتداخل فيه جانب الغيب مع جانب الشهادة(١) ، وثقافة الإنسان المسلم في هذه المرحلة كانت متأثرة بمنهج القرآن الشمولي ؛ لكونه مصدرا أساسيا في تكوينها .

المرحلة الثانية: مرحلة الانفتاح الحضاري: هذه المرحلة صاحبت حركة الفتح الإسلامي للبلدان المجاورة ، ودخول أهالي هذه البلدان في الإسلام عن طواعية واختيار ، ولا ريب أن هؤلاء حملوا معهم ثقافات أممهم ، إلا أن الثقافة الإسلامية تمكنت من استيعاب هذه الثقافات وصهرها في بوتقتها من خلال عملية انتقاء دقيقة ، أخذت منها ما يناسب أصولها العقدية وأحكامها التشريعية ، ويعينها على مواصلة تقدمها الحضاري ، واستطاعت أن تفرض في هذه المرحلة اللغة العربية ، وتحلها محل كثير من اللغات كاللغة الآرمية واللغة القبطية ؛ لتصبح لغة الفكر والتأليف والبحث العلمي ، واستطاعت أيضا أن تجعل من العالم الإسلامي مركزا للعلوم والتقدم الحضاري(٢) ؛ بل عمد المسلمون نتيجة للانفتاح الحضاري إلى استجلاب تراث هؤلاء الأقوام وترجمته ، مما أدى إلى نشوء تحدٍ جديد لم يكن معروفا من قبل ، اقتضى المواجهة ونقد هذا التراث ، وإظهار سمو الإسلام وتفوقه على غيره من الأديان والفلسفات(٣) .

( ) الطريقي ، عبد الله وآخر ، عام ٤١٧ هـ ، الثقافة الإسلامية تخصصا / ١٧ .

( ) جلي سارة بنت عبد المحسن ، عام ٤١٩ هـ ، الثقافة الإسلامية وهى تأثيرها في الفكر المعاصر/ ٣٠.

( ) الطريقي ، عبد الله زيد وآخرون ، عام ٤١٧ هـ ، الثقافة الإسلامية تخصصا/ ١٨ .

وعلى الرغم من أن انفتاح المسلمين على غيرهم بسبب حركة الفتح الإسلامي والتفاعل الحضاري قد أفادهم في جوانب العلم والمعرفة ؛ إلا أن ذلك الانفتاح أضرَّ بهم عندما أقبلوا على علوم الجدل والكلام ، وأخذوا بمناهج غلاة متصوفة الهند وفارس ، وترجموا الفلسفات المنحرفة المتأثرة بآراء الصابئة والعقليين ، مما أدى إلى وقوع المسلمين في التفرق وانسياقهم مع الشبهات والأهواء() .

المرحلة الثالثة: مرحلة التجديد: هذه المرحلة كانت نتيجة الركود العلمي والجمود الفكري الذي مني به العالم الإسلامي في فترات الضعف التي مرت بالأمة الإسلامية ، والثقافة الإسلامية كغيرها تأثرت بآثار هذا الضعف ، ففي القرن الحادي عشر الذي يعد آخر القرون إبداعا ، وعلى أيدي قليل من العلماء اعترى الأمة إعياء وفتور انتهى بغلق باب الاجتهاد العلمي ، والاكتفاء بما تركه الأسلاف على أساس فكرة سادت ، وكان لها جذورها في نظام التعليم في هذا القرن ، هي أن كل شيء قد تم على يد أسلافنا ، لا يضاف ولا يمكن أن يضاف إليه شيء أبداً ، وأنه ليس في الإمكان أبدع مما كان ، وأن أعظم خدمة يمكن إسداؤها إلى الأمة هي التذييل على ما كتبه الأولون بحواشي وشروح ، فلا يكاد يعثر في هذا القرن على فكرة مبتكرة ، أو اختراع مبتدع ، أو اكتشاف جديد ، وبذلك غشيت أجواء الأمة سحابة سوداء من العقم العلمي .

ولم يكن الجمود قاصراً على العلوم الطبيعية والتطبيقية ، وإنما كان شاملاً للعلوم الدينية والفنون والآداب:والمعاني الشعرية والإنشاء والتاريخ ومناهج التعليم ، مما ينبئ عن مقدار الانحطاط الفكري الذي منيت به الأمة وتغلغل في أحشائها .

وقد أدى هذا إلى ركود في الفكر، صحبته غشاوة على كثير من المفاهيم والتصورات ، واقترن به سيادة النظرة الجزئية إلى الإسلام عند معظم علماء هذا العصر وغياب الرؤية الشمولية ، بحكم الانكفاء على التخصص في العلوم ، وغلبة التقليد ، مما دفع بالعلماء الذين أحسوا بخطورة الوضع إلى كسر طوق هذا الركود العلمي ، والتنبيه إلى ترابط العلوم الإسلامية وتكاملها في أداء وظيفتها في بيان الحق ، ومن العلماء الذين قاموا بهذه الوظيفة : ابن تيمية

( ) سالم ، محمد رشاد ، عام ٤٠١٧ هـ ، المدخل إلى الثقافة الإسلامية/ ١٧ .

الذي قام بحركته النقدية لتراث الحضارة الإسلامية ، بنهج سلفي يتسم بالشمولية في العرض والنقد، وممن تأثروا به في العصر الحاضر: ولي الله الدهلوي الذي اهتم بعرض الإسلام وفق منهج شمولي في كتابه: (حجة الله البالغة)(1) ، وغيره من العلماء ممن وقفوا موقف التغيير ، يحيون ما اندرس من الدين ، ويميتون ما قد يظهر من بدع ، ويقيمون ما قد ينحرف من مناهج الناس وعوائدهم وأفكارهم ، يستندون في ذلك على الوحي ، ويتبعون أقوم الطرائق لبلوغ غاياتهم ، وذلك إنفاذا لوعد التجديد الذي يعيد للإسلام مكانته ونقاوته كلما ضعف أو تكدر، قال ﷺ: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)(2).

المرحلة الرابعة: مرحلة تأسيس علم الثقافة الإسلامية وتسميته: هذه المرحلة بدأت في العصر الحديث ، حينما طرأ وضع جديد على العالم الإسلامي ، وهو الاتصال الثقافي الذي أفرز تحديات للفكر الإسلامي ، دفعت العديد من العلماء والمفكرين والدعاة إلى التصدي للأفكار التي تسللت إلى العالم الإسلامي عن طريق المستشرقين ، وفضح منهج علم الثقافة الغربي الإلحادي ، وقد توالت صيحات هؤلاء العلماء ونداءاتهم ، وتتابعت الكتابات والمؤلفات لبيان شمول الإسلام ، وصدّ الغزو الثقافي القادم من الغرب ، وكان النهج المناسب لذلك هو النهج الشمولي ؛ لما تتصف به الإيدلوجيات الغازية من شمول في تحديها ، وقد اندرجت هذه الكتابات والأبحاث في الإطار العام للإسلام ونظمه والحضارة الإسلامية بيانا للحق ، ودفعا للباطل(3) ؛ لذا فقد تم تصنيفها في أول الأمر تحت مسمى علم جديد قرر تدريسه في المرحلة الجامعية بجامعات العالم العربي والإسلامي ، ثم أخذ هذا العلم بعد ذلك إطارا أوسع في مجال الكتابة في الصحف والدوريات والتأليف الفردي والبحث في الجامعات ومراكز البحث العلمي.

تسمية هذا العلم بالثقافة الإسلامية:

---

(1) الطريقي ، عبد الله وآخر ، عام ١٤١٧ هـ ، الثقافة الإسلامية تخصصا/ ٨ + ١٩.

(2) رواه أبو داود ٤/ ١٠٩ في كتاب الملاحم ، باب ما يذكر في القرن المائة .

(3) الطريقي ، عبد الله وآخر ، عام ١٤١٧ هـ ، الثقافة الإسلامية تخصصا / ٩ + ٢٠.

لم يكن اسم (الثقافة الإسلامية) أول اسم لهذا العلم ، فقد طرحت قبله عدة مقترحات لتسميته، منها علم (النظم الإسلامية)، وعدل عنه لأن النظم أحد محاور هذا العلم وليس كل محاوره ، واقترح اسم علم (الحضارة الإسلامية)، وقد عدل عنه للفارق بين معنى الحضارة والثقافة، ثم تمت تسميته بـ (علم الثقافة الإسلامية) .

وترجع أسباب تسمية هذا العلم باسم علم الثقافة الإسلامية إلى سببين:

الأول: المعنى اللغوي : يبدو أن التسمية جاءت بسبب تطابق التعريف الاصطلاحي العام الشائع للثقافة بأنها: (العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها)، أو أنها (الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان وهو عضو في المجتمع) مع الاستعمال اللغوي لكلمة الثقافة، وهو: الإلمام بعدد من العلوم والمعارف، وهذا يكشف أثر المعنى اللغوي في التسمية.

الآخر: التعريب : يظهر أن تعريب بعض المصطلحات الأجنبية، وعلى الخصوص كلمة: (culture) في اللغات الفرنسية والانجليزية والألمانية ، والتي تعني في الأصل الزراعة والاستنبات ، ثم أصبحت في هذه اللغات تعني : ما يكتسبه الإنسان من ضروب المعرفة النظرية والخبرة العملية التي تحدد طريقته في التفكير ومواقفه في مختلف طرق الحياة – له تأثير في اختيار كلمة الثقافة في اللغة العربية ترجمة لكلمة : (culture) ؛ لأنها من أظهر المفردات العربية في الدلالة على المقصود بهذه الكلمة .

تاريخ تدريس هذا العلم :

يعود تاريخ تدريس هذا العلم إلى عام ١٣٧٥هـ الموافق عام ١٩٥٤م حين أنشئت جامعة دمشق ، وكلفت لجنة بإعداد خطط الدراسة فيها ، كان منهم الشيخ محمد المبارك الذي اقترح إدخال مادة باسم : (نظام الإسلام) ، وقام بتدريسها ، وعمل على تعميم دراستها في جامعات الوطن العربي ، فقد اقترح أيضا إدخالها ضمن المقررات الدراسية بالأزهر الشريف لما شارك في لجان تطوير خطط مناهجه سنة ١٩٦١م ، فأدخلت في جميع كلياته ، ثم في تخطيط مناهج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ثم كلية الشريعة بمكة المكرمة ، ثم في جامعة أم درمان بالسودان ، فأدخلت هذه المادة الجديدة في جميع هذه الجامعات ، وقد اعترى هذا العلم في أول نشأته شيء من الفوضى والبعد عن التبويب أحيانا ، واختلاط مسائله بمسائل غيره من العلوم ، والزيادة والنقصان والتعديل والتبديل حتى استقر ، واتضحت معالمه ، وأصبح علما من العلوم)(١) ، له منهجه الخاص .

( ) الطنطـ ي، علي ، عام١٤١٠هـ ، ذكريات ٨/ ٩٢.

ب – سمات منهج علم الثقافة الإسلامية:

يستمد علم الثقافة الإسلامية منهجه من القرآن الكريم الذي عرض الإسلام عرضا شاملا ومجملا يجمع جميع جوانبه العقدية والعبادية والتشريعية والأخلاقية والسلوكية والاجتماعية في وحدة موضوعية واحدة ، لا تعرف الفصل بينها ، هذا المنهج الذي يمكن وبسهولة أن نستظهره عند قرآءتنا مثلا لقول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٧٧]، أو عند قرآءتنا لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٠٨].

واعتنى بمقارنة الإسلام بغيره من الأديان والفلسفات ليظهر سمو الإسلام وتفوقه على غيره ، فقد تحدث القرآن عن الديانة اليهودية والنصرانية والوثنية وفلسفات الملحدين والدهريين ، وأتبع هذه المقارنة بالنقد البناء القائم على العدل والإنصاف كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المَائِـدَة: ٦٥ - ٦٦] ، وأكد القرآن على قاعدة العدل التي لا يسوغ لأحد أن يتجاوزها في منهج النقد حتى مع اختلاف الدين في قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا

تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [المَائِـدَة: ٨]، ولما كان القرآن الكريم هو الرافد الأول لثقافة المسلمين فإنه أنشأ بهذا المنهج فهمًا كليًّا وعميقًا لرسالة الإسلام ، قام على قناعة عقلية بحقائقها الإيمانية ، وتطبيق دقيق لأحكامها العملية سواء في مجال العبادات أم المعاملات ، وشعور نفسي بالمسؤولية أمام الله تعالى وخشيته وإجلاله في السر والعلن ، هذا الفهم الكلي العميق المستمد من منهج القرآن الكريم أصبحا منهجًا يتميز به "علم الثقافة الإسلامية" عن غيره من العلوم الشرعية.

وقد اتسم منهج علم الثقافة الإسلامية بعدة سمات، هي:

السمة الأولى: الشمولية: ويراد بها : التناول الكلي للموضوع باعتباره وحدة مترابطة ، تتداخل عناصره للوصول إلى صورة متكاملة ؛ سواء أكان الموضوع المراد دراسته قيمة ، أم نظاما ، أم فكرا ، فالثقافة تتناول الإسلام على أنه كل مترابط من جميع الجوانب العقدية والتعبدية والخلقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وكذلك تدرس نظرة المذاهب للإنسان والكون والحياة ، وما انبثق عنها من قيم ونظم وأفكار ، وهكذا في دراسة جميع الموضوعات().

إنه في ضوء هذه السمة ينبغي أن يفهم إلى جانب الناحية المنهجية في تناول الثقافة الإسلامية للموضوعات أنها ليست قاصرة على العلوم الدينية دون غيرها من العلوم الإنسانية التي تساهم في بناء الشعور والعواطف ورؤية التاريخ والواقع رؤية صحيحة ، أو العلوم العملية التطبيقية التي تعمل على تشكيل معطياتها إلى واقع محسوس ومعاش ، إنها تجمع في نظرتها الشمولية المتوازنة بين الدين والدنيا دون فصل أو إبعاد لأحدهما عن الآخر ، قال تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ [القَصَص: ٧٧].

السمة الثانية: التأصيل: ويراد به الاعتماد في بناء التصور الإسلامي لأي قضية من قضايا الثقافة ونقدها على الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة وعلمائها في الاستنباط

( ) الطريقي ، عبد الله وآخرون، عام ٤١٧ هـ ، الثقافة الإسلامية تخصصا / ٢١.

والاستدلال والتقويم ، دون تأثر بمنهج التوفيق أو الانهزام أمام الفلسفات والمذاهب وشبهات المغرضين من أعداء الإسلام(١).

السمة الثالثة: المقارنة: ويراد بها عرض قضايا الإسلام لإبراز كفايته الثقافية ، والكشف عن كماله وسموه وقدرته على تحقيق إنسانية الإنسان بكل أبعادها ، دون التضحية بروحه لصالح جسده ، أو بآخرته لصالح دنياه ، ومقارنة ذلك بعرض المبادئ المخالفة على حقيقتها ، وتُحقق الثقافة الإسلامية من هذه المقارنة تجلية أصالة الإسلام ونضج مبادئه ، وتكامل تشريعه ، وحيوية قضاياه ، وواقعية قيمه ، ووفائه الكامل لحاجات الإنسان ورسالته في الحياة ، وهي أيضا تجني من سمة المقارنة الوعي بحقيقة قضايا الثقافة المطروحة ، وتفوق قضايا الثقافة الإسلامية على غيرها من قضايا الثقافات الأخرى ؛ لذا كانت المقارنة القائمة على العدل والحق الطابع المميز للموضوع الثقافي ، وهي التي تحيل الموضوع التاريخي أو اللغوي أو الأخلاقي أو التشريعي أو الاعتقادي إلى موضوع ثقافي(٢).

إن الثقافة الإسلامية حينما تعتمد المقارنة منهجا لها فإنها تستلهمها من منهج القرآن الكريم الذي دعا الناس إلى عدم (قبول أوضاع جديدة في ثقافة مجتمعهم إلا بعد أن يتبين لهم أن هذا الجديد حق وصدق ، ومقياس الحق والباطل هو القرآن ذاته ، فما أقره فهو الحق ، وفيه ما ينفع الناس ، وما أنكره فهو الباطل ، وفيه الضرر وإن بدا لعقول الناس أن فيه نفعا)(٣)، وقد أشار القرآن إلى أهمية هذا المنهج ، وأثره في ظهور الحق وبروزه في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ [الرَّعْد: ١٧].

( ) الطريقي ، عبد الله وآخر ، عام ٤١٧ هـ ، الثقافة الإسلامية تخصصا / ٢١، والزلفي ، عبد الرحمن زيد ، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود ، العدد الثاني ، محرم ٤١٠ هـ ، مدخل إلى علم الثقافة الإسلامية/ ٩٦.

( ) إبراهيم ، أحمد عبد الرحمن، مجلة أضواء الشريعة العدد / ١٣، عام ٤٠٢ هـ ، الإسلام والتغيير الثقافي / ٤٠٦ ٤٠٧.

( ) علي ان، شوكت محمد ، عام ٤١٦ هـ الثقافة الإسلامية وتحديات العصر / ١٥.

السمة الرابعة: النقد: ويقصد منه بيان الجوانب الجيدة والمتوافقة مع الإسلام في التراث البشري والفكر الإنساني ، وتوضيح جوانب النقص والقصور والانحراف فيهما ، والكشف عن حاجتهما إلى هداية الإسلام(1).

وتستهدف الثقافة الإسلامية من هذا المنهج في العصر الحاضر الذي تتنافس فيه المذهبيات ، وتتصارع فيه الأفكار أمرين :

الأول: إظهار الملامح المشرقة لوجه الأمة الإسلامية ، ومحو الأصباغ الأجنبية عنه ؛ لكي تظهر الأمة في شخصيتها الحقيقية المتميزة التي يستحيل عليها بدونها أن تصبح أمة واحدة(2).

الآخر: دحض كل ريبة أو شبهة يثيرها خصوم الإسلام للانتقاص من علو النظام الإسلامي على كل نظم الحياة الأخرى(3)، والكشف عن تفوق الإسلام على المذاهب المادية المعاصرة من خلال نقدها .

إنه لا ينبغي أن يفهم أن النقد في الثقافة الإسلامية عملية هدم فقط ؛ بل هي عملية هدم وانتقاء ؛ فمنهج النقد في الثقافة الإسلامية يقوم بالعمليتين معا ، فهو مثلا ينقد علوم الغرب وفنونه وثقافته ومدنيته، ويبين ما فيها من فساد يحسن تركه ، وصحيح يليق أخذه ، فهو نقد إيجابي بنَّاء .

( )الطريقي ، عبد الله وآخرون، عام ١٤١٧ هـ ، الثقافة الإسلامية تخصصا / ٢٢.

( ) إبراهيم، أحمد عبد الرحمن، مجلة أضواء الشريعة، العدد/ ١٣، عام ١٤٠٢ هـ، الإسلام والتغيير الثقافي/ ٤٠٩.

( ) جميلة، مريم، الإسلام بين النظرية والتطبيق/ ٢١٧.

أنواع التأليف في علم الثقافة الإسلامية:

التأليف في علم الثقافة الإسلامية على نوعين:

الأول: يضم في الدراسة الواحدة مجموعة من قضايا الإسلام وجوانبه، وهذا النوع يسير وفق منهج القرآن الكريم المشتمل على أصول الدين وكلياته، ومنهج السنة النبوية التي ضمت كل ما أتى عن الرسول ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريراته.

ومن مؤلفات هذا النوع لعلماء المسلمين المتقدمين:

١. الرسالة للشافعي.

٢. إحياء علوم الدين للغزالي.

٣. زاد المعاد لابن القيم.

ومن مؤلفات العلماء المتأخرين:

١. حجة الله البالغة لولي الله الدهلوي.

٢. الرسالة الخالدة لعبد الرحمن عزام.

٣. الإسلام وحاجة البشرية إليه لمحمد موسى.

الآخر: يتناول قضية واحدة من القضايا التي لها صلة بهذا العلم.

ومن مؤلفات هذا النوع للعلماء المتقدمين:

١. جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر.

٢. الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني.

٣. ميزان العمل للغزالي.

٤. الحسنة والسيئة لابن تيمية.

٥. مفتاح دار السعادة لابن القيم.

أسس الكتابة والبحث في علم الثقافة الإسلامية :

للكتابة في علم الثقافة الإسلامية طريقة خاصة ، يتأكد على المثقف والمفكر أن يأخذ بها في تناول أي قضية من قضايا الثقافة وموضوعاتها الأصيلة والمعاصرة ، وهي تختلف عن طرائق البحث في العلوم الأخرى ، نبه على أسسها محمد المبارك ، وهي :-

١. الاعتماد على نصوص القرآن والسنة الصحيحة في استيضاح الفكرة وتحديد الرؤية الإسلامية ، وذلك بتتبع جميع الآيات والأحاديث المتصلة بموضوع من الموضوعات ، مع فهمها فهما صحيحا دون نزوع إلى تأويلات أو معان شاذة .

٢. الاسترشاد بآراء السلف في فهم الموضوعات الثقافية وقضايا الإسلام ، والاستنارة برأي من جاء بعدهم من علماء المسلمين في مختلف العصور بعد التثبت من صحة نسبة هذه الآراء إليهم ، وذلك بالرجوع إلى آثارهم العلمية .

٣. الرجوع إلى مصادر التراث الإسلامي دون تقيد بوجهة مذهب معين في تكوين رؤية ، أو فهم ، أو نظرة .

٤. الربط بين الأحكام الجزئية ، وجمع شتاتها ، واستخراج الأفكار العامة والقواعد الكلية التي بنيت عليها دون التزام بالتصنيفات والتقسيمات التي اعتمدها القدامى في عرضهم لها .

٥. بذل الجهد في تعليل الآراء والوقوف على حِكَم الأحكام وفلسفتها ، واستخراجها من النصوص الصحيحة ، والابتعاد عن التعسف في التأويل والتعليل ، وعن إقحام تعليلات خارجية ، وعن الآراء الشاذة، سواء أكانت قديمة أم حديثة .

٦. صياغة الأفكار صياغة شمولية متلائمة مع خطاب العصر وأسلوبه وأدواته ووسائله وطرحه الثقافي ، مع المحافظة على المفاهيم الأصلية والمصطلحات دون انتقاص أو تأويل .

الفصل الثاني
أهمية علم الثقافة الإسلامية وخصائصه

أ – أهمية علم الثقافة الإسلامية :

أولا – أوجه أهمية علم الثقافة الإسلامية :

تأتي أهمية علم الثقافة الإسلامية من عدة أوجه :

١. أنه علم يسعى إلى المحافظة على سمات شخصية الأمة الإسلامية من الضياع ، أو التلاشي أوالاندثار ، ذلك أن أي ثقافة من الثقافات تتفرد بسمات خاصة ، تميزها عن غيرها من الثقافات ، وتنتمي إلى أمة معينة ذات مبادئ وقيم وتصورات خاصة ، فكما أن كل إنسان ينتمي إلى أسرة أو جماعة أو وطن ؛ فكذلك الثقافة .

وإذا كانت الأمة الإسلامية قد تعرضت لغزو الثقافة الغربية أيام الاستعمار السياسي ، ولا تزال تتعرض لموجات من التغريب عن طريق وسائل الإعلام والاقتصاد ، وما يعرف بالعولمة – فإن علم الثقافة الإسلامية يؤدي وظيفة الوقاية من ضرر هذا الغزو ، ويعمل على تحصين الأمة من أثر عملية الإحلال الثقافي الغربي التي تمارس في المجتمعات الإسلامية .

٢. أنه يعمل على توحيد الأمة الإسلامية من الناحية الفكرية ، فوجود ثقافة إسلامية مشتركة يلتقي عليها المسلمون ، ويشب عليها الشباب المسلم – سيقيها من حالة التمزق الفكري ، والتشتت الثقافي ، ويخلصها من حالة الضياع ، والعيش بدون شخصية ، وفكر موحد()، وسيعينها على ظهور أهداف واهتمامات وتصورات مشتركة ، تسهم في نسج وحدة من التكوين الداخلي بين أبناء الأمة الإسلامية ، وفي توحيدهم على نماذجها البشرية وقيمها ، وجمعهم على الالتزام بمصير الأمة التضامني الواحد() .

( ) سالم ، محمد رشاد ، عام ٤٠١٧ هـ ، المدخل إلى الثقافة الإسلامية/ ١٠ .

( ) مرسي ، محمد عبد العليم ،٢عام ٤١٥ هـ ، الثقافة .. والغ والثقافي فيد لي الخليج العربية/ ٦٨ .

٣. أنه يسهم في بناء الأمن النفسي والشعور بالإنتماء داخل الأمة الإسلامية ؛ لأنه أكثر العلوم اتصالا بكرامة الإنسان ، وأعمقها تأكيدا لذاته ، وهذا يتحقق من خلال تأكيده على المباديء والنظم والقيم المستمدة من الوحي ، وعنايته بها ؛ نظرا لأنه ينشأ من الالتزام بها ، واحترامها بشكل جماعي ، واطمئنان ذاتي للفرد المسلم ، وارتياح داخلي ، فهي تكسب الفرد شعوراً بالتضامن والتعاون ، وتحقق له إحساساً بروح الانتماء إلى جماعة المسلمين الواحدة()، ويتم معرفة أهمية الأمن النفسي الذي يشكله هذا العلم عند تصور شعور المسلم الذي يعيش في مجتمع غير مسلم بالغربة في أطر تفكيره ونظم حياته ، وبالخوف على قيمه ومحارمه وكرامته من أن تنتهك أو يعتدى عليها ، وبالتوجس الداخلي من كل شيء ، إن هذا يعود إلى فقده للرابط الذي يربطه بالثقافة السائدة في هذا المجتمع .

٤. أنه يضطلع بوظيفة مواجهة الأخطار الفكرية التي تتعرض لها الأمة الإسلامية ؛ ممثلة في الدراسات الاستشراقية التي تستهدف تشويه صورة الإسلام في نفوس المسلمين ، وزعزعة ثقتهم بمصادر دينهم ، وتشكيكهم بمبادئ الإسلام وعقائده وقيمه وتاريخه ، وفي التنصير الذي يسعى إلى تحويل المسلمين عن دينهم ، ونشر الإلحاد والنصرانية في بلاد المسلمين ، أوفي التغريب الذي يعمل على صياغة المجتمعات الإسلامية صياغة غربية ، تحاكي حياة المجتمع الغربي في العادات والتقاليد ونظم الحياة .

إن مواجهة هذه الأخطار التي تحدق بالأمة الإسلامية تحصل عن طريق تحصين أبناء الأمة المسلمين من التأثر بهذه الأفكار ، ووقايتهم من أضرارها ، ونقد الدراسات الاستشراقية المعادية ، وبيان مغالطتها للحقيقة ، وتعمدها للتشويه والكذب ، وإيقاف حركة التنصير ، وذلك عن طريق مضاعفة الجهد في الدعوة إلى الله تعالى ، ومنع المنصرين من الدعوة إلى دينهم في بلاد المسلمين ، وتحقيق قدر من الوعي بأهداف العولمة وأخطارها على مكتسبات الأمة .

٥.أنه يعمق روح الانتماء إلى الإسلام ، ويربط المسلمين بدينهم القيم ، وتاريخهم المجيد ، وحضارتهم العظيمة ، ويعمل على توثيق الصلات العقدية والفكرية بينهم ؛ مهما تباعدت بهم الأوطان ، أو اختلفت أعراقهم ولغاتهم ، ويبني في نفوسهم الشعور بالأخوة المبنية على

( ) مرسي ، محمد عبد العليم ،١عام ٤١٥ هـ ، الثقافة .. واللغ والثقافي فيد لي الخليج العربية/ ٨ ٦- ٩ ٦.

الإيمان والنصرة في الدين بحيث يحس بعضهم بآلام بعض:، ويفرحون بفرحهم ، ويرتبط المسلم بأخيه برباط فكري واحد ، يوحد مشاعرهم وأحاسيسهم ؛ بل وتصوراتهم ونظرتهم إلى الحياة ومواقفهم من متغيراتها .

ثانيا – الوعي بأهمية علم الثقافة الإسلامية في مجال التعليم :

أدرك القائمون على سدة التعليم في العالم الإسلامي أهمية علم الثقافة الإسلامية ، فقرروا تدريسه في جميع مراحل التعليم ومستوياته ، فقد نص ميثاق المنظمة الإسلامية للعلوم والتربية والثقافة (الإيسسكو) في فقرة (هـ) من مادته الرابعة على (جعل الثقافة الإسلامية محور مناهج التعليم في جميع مراحله ومستوياته) .

وكانت المملكة العربية السعودية سباقة في الاهتمام بهذا العلم وتدريسه في جامعاتها ، فقد وافقت على ميثاق المنظمة الإسلامية للعلوم والتربية والثقافة (الإيسسكو) بالمرسوم الملكي الكريم رقم ١٢/٣/ وتاريخ ١٤١٠/٥/١٩هـ، (وتجلى هذا الاهتمام في جعل العلوم الدينية أساسية في جميع مراحل التعليم العام ، وتوجيه العلوم والمعارف وجهة إسلامية ، كما أن الثقافة الإسلامية مادة أساسية في جميع كليات جامعات المملكة)().

وقد سعت المملكة العربية السعودية بفاعلية على تأكيد هذه الأهمية لدى المنظمات الإسلامية ، وفي المؤتمرات المهتمة بالتعليم في العالم الإسلامي ، مما جعل الاهتمام بتدريس علم الثقافة الإسلامية واسعا على مستوى الوطن الإسلامي ، وفي جميع جامعاته المختلفة ، ومن أبرز دلالات هذا الاهتمام ما صدر من توصيات وقرارات تؤكد على تدريس هذا العلم في جميع جامعات العالم الإسلامي :-

١- توصية المؤتمر الإسلامي الأفريقي الأول المنعقد في نواكشوط في عام ١٣٩٦هـ التي تنص على (أن تكون مادة الثقافة الإسلامية مادة أساسية، وعلى مستوى الجامعات كلها على اختلاف فروعها) .

٢- تأكيد مجلس اتحاد الجامعات العربية في اجتماعه المنعقد في المدة من ٢٢-١٣٩٧/١٢/٢٧هـ بجامعة قطر على قراره السابق الذي اتخذه في اجتماعه في الجامعة الأردنية في المدة من ١٦-٢١ /١٩٧٧/٤م (بأن تكون مادة الثقافة الإسلامية مادة أساسية على مستوى الجامعات العربية كلها ، على اختلاف فروعها وأقسامها) .

( ) السلوم ، حمد بن إبراهيم ، ط١ عام ١٤٠٨ هـ ، تاريخ الحركة التعليمية في المملكة العربية السعودية/ ١٦.

٣- توصية ندوة الثقافة الإسلامية المنعقدة في ماليزيا في محرم ١٤٠٩هـ بإدخال مادة الثقافة الإسلامية ضمن مقررات الجامعات في جميع الكليات ، فقد نصت المادة / ٢٣ من توصياتها على ما يأتي : (لا بد من تضمين مقررات الثقافة الإسلامية في مناهج جامعات البلاد الإسلامية كلها ، وبمختلف أقسام تلك الجامعات، وأن تشمل مختلف سنوات الدراسة الجامعية، والدراسات العليا فيها ، كما أنه لا بد من متابعة هذه الدراسات وتطويرها بما يقتضيه الواقع الإسلامي والعالمي).

٤- تصديق رابطة الجامعات الإسلامية في مؤتمرها الرابع المنعقد في كوالا لمبور على التوصية السابقة بقرارها رقم - ٧ /٤-١٤٠٩هـ.

٥- توصية ندوة مقررات الثقافة الإسلامية المنعقدة في جامعة الملك فيصل بالأحساء في شوال ١٤٢٦هـ (بالتأكيد على ضرورة تقرير الثقافة الإسلامية في جميع جامعات المملكة وكلياتها المدنية والعسكرية الحكومية والأهلية للبنين والبنات بما لايقل عن ثمان وحدات دراسية).

لقد حرصت الجامعات بالمملكة العربية السعودية على تطبيق هذه التوصيات والقرارات()؛ لذا اعتمدت مادة الثقافة الإسلامية في خطط كلياتها الدراسية على اختلاف تخصصها ، وأصبحت من المتطلبات الجامعية التي يدرسها جميع طلاب وطالبات هذه الجامعات.

( ) الطريقي وآخرون، عام١٤١٧هـ ، الثقافة الإسلامية تخصصا ../ ٥٤ ٥٥.

ب- خصائص علم الثقافة الإسلامية:

يتميز علم الثقافة الإسلامية بأنه ذو خصائص فريدة في مكوناته ومصادره ومجالاته المتعددة التي تشمل أمور الدنيا ، وتمتد لتعم أمور الآخرة ، ومن أهم هذه الخصائص ما يلي:

١- أن علم الثقافة الإسلامية رباني المصدر : يرتبط هذا العلم بكلمات الله وحده غير محرفة ، ولا مبدلة ، ولا مخلوطة بأوهام البشر وأغلاطهم وانحرافاتهم ، فهو يعتمد على كتاب الله الموحى إلى رسول الله ﷺ، ومحصور فيه، بعيد كل البعد عن الفكر الفلسفي الإنساني ، وكتاب الله مصدر يتسم بالصدق والصحة:، قد تكفل الله بحفظه كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحِجْر: ٩]، وعلى سنة رسول ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريراته، وقد قيض الله من يميز صحيحها من ضعيفها ، ويبين ما ألحق بها كذبا بحيث أصبحت معلومة ومحصورة ومتناولة بين العلماء الثقات ، بخلاف الثقافات الأخرى المرتبطة بأديان إلهية ذات مصادر إلهية محرفة أو وضعية لا يعرف لها أصل ؛ وحقيقة مصدرها فكر البشر ؛ سواء من أصل الوضع كالبوذية ، أو بعد التحريف كاليهودية أو النصرانية التي لم تبق ثقة بربانية مصدرها بسبب ما طرأ عليها من تحريف غير حقيقتها ، وأزال قداستها ؛ لذا كتب لها الخلود والبقاء .

وهي كذلك تختلف عن الثقافات الغربية والشرقية الحديثة التي قامت حضارتها وثقافاتها على بقية من دين محرف ، أو فلسفة إلحادية تنكر وجود الله تعالى ، أو من فلسفة وضعية كالفلسفة اليونانية والرومانية ، أو على تصور علماني يتجاهل دور الدين ، ويعزله في جزء يسير من أمور الحياة ، مما جعل هذه الثقافات معرضة للتغير والتناقض والانحسار().

وبهذا يتبين أن الثقافة الإسلامية وحدها ربانية المصدر ، تستمد عناصرها من تعاليم القرآن والسنة المطهرة ؛ سواء كانت عناصرها مما لا عمل للعقل البشري فيها سوى التلقي والفهم والتطبيق كأساسيات الدين التصورية والأحكام التعبدية والمقدرات وأصول المعاملات

( ) الحليبي ، أحمد بن عبد العزيز ، عام ٤١٩ هـ ثقافة الطفل المسلم – مفهومها وأسس بنائها/ ٨٤.

، أم كانت مما للعقل مجال فيه بالاجتهاد والنظر لاستنباط أحكام عملية يحتاج إليها الإنسان مما لم يأت في النصوص له أحكام جلية(١).

٢- أن علم الثقافة الإسلامية عقدي الاتجاه : يعتمد هذا العلم على عقيدة الإسلام الصحيحة ، فهي محور ارتكازه ، وقاعدته الصلبة ، منها يستمد شخصيته ، ومكوناته ومقوماته واتجاهه ، وهذه العقيدة مبنية على أركان الإيمان الستة : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقضاء خيره وشره ، وقد ارتبط بهذه العقيدة ارتباطا تاما ، وجعلها محورا رئيسا تنبثق منها تصوراته وأحكامه ، وقد انفرد عن غيره من الثقافات بهذه الميزة التي ساهمت في التأكيد على ذاتيته واستقلاله ؛ نظراً لصحتها ووضوحها ويقينيتها ، وقدرتها على تفسير الحقائق الوجودية تفسيرا صادقا ، لا غموض فيه ، ولا لبس ، ولا مغالاة ، ولا مجافاة للواقع(٢).

٣- أن علم الثقافة الإسلامية أصيل في مصدره ومنشئه : تعود أصالته إلى كونه ذا مصادر مرتبطة بالوحي الإلهي ، ونشأة مستقلة عن تأثير الثقافات الأخرى ، فهو لم يتطور عن أحد منها ، أو يتولد عنها ، وإنما نشأ في كنف مفاهيم القرآن والسنة وتصوراتهما ، ونما في ظلهما ، وارتبط بالإسلام الذي هدم الشرك ونسخ الأديان ، وانفرد بوصف الدين الصحيح كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عِمْرَان: ١٩] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عِمْرَان: ٨٥] وهو بهذا الارتباط الوثيق ليس كالثقافات التي قامت على آراء البشر واجتهاداتهم ، أو تطورت عن ثقافات قديمة أو تولدت عنها ، وإنما قامت الثقافة الإسلامية على أصل ديني صحيح هو الإسلام ، ونشأت مستقلة عن غيرها من ثقافات الأمم والمجتمعات ، فهي ليست متطورة عنها ، ولا امتدادا لأحدها .

( ) الطريقي ، عبد الله وآخرون، عام ٤١٧ هـ ، الثقافة الإسلامية تخصصا../ ٣٠.

( ) العمري، نادية شريف ، عام ٤٠١ هـ ، أضواء على الثقافة الإسلامية/ ٣٩.

٤- أن علم الثقافة الإسلامية واقعي وملائم لحال البشر : فهو يفسر حقيقة الإنسان الذي يتكون من كيان خاص:، له جسم وعقل وروح ونفس وقلب، وله أشواق وميول وأهداف ، وله غرائز ومتطلبات ، ويؤكد على كرامته ورسالته في الحياة ، فهو يعترف بهذه المكونات ، ولا يتنكر لها، وهو بهذا الاعتراف والإقرار اتسم بالواقعية الملائمة لحال الإنسان ؛ بل دعا وفق مقتضيات الإسلام أن تلبى للإنسان أشواقه الروحية ، وتطلعاته العاطفية ، وأن تشبع غريزته في حدود ما شرع الله وأباح ، وأن تنمى ميول الخير فيه ، وأن يمكن من تحقيق أهدافه النبيلة(١).

واستوعبت الثقافة الإسلامية جميع مراحل التطور الحضاري في كل العصور والمجتمعات ، مع إعطاء الاجتهادات البشرية مجالا تبذل فيه قصارى جهدها في ظل هذا الإطار الشامل العام ، وإن كان الإسلام قد تكفل ببيان أمور لا يستطيع إدراك البشر أن يصل إليها ، أو يحيط بها ، وهي مسائل لا تتغير ، ولا يؤثر عليها مرور الزمن ، مثل العقائد وأصول العبادات والمعاملات(٢).

٥- أن علم الثقافة الإسلامية متزن في التناول : يتجلى توازنه في أنه تناول الإنسان والكون والحياة ، ثم تناول الإنسان في جوانبه الروحية الداخلية وحاجاته المادية الخارجية ، وربط بينهما بتوازن دقيق دون أن يطغى جانب على جانب ، ودون إهمال للدنيا وطيباتها على حساب الآخرة كما قال تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [القَصَص: ٧٧]، وبهذا وفقت الثقافة الإسلامية بين روح الإنسان وجسده ، وبين فرديته وجماعيته ، وبين دنياه وآخرته ، فلا تنشطر سريرته وحياته أشطاراً مختلفة كما هو الحال في واقع الثقافات الأخرى(٣).

( ) العمو ي، نادية شريف ، عالم ٤٠١ هـ ، أضواء على الثقافة الإسلامية/ ٤٠ ٤١ .

( ) سلط ن، محمود سيد ، عام١٩٨١ م، مفاهيم تربوية في الإسلام/ ٢٥ .

( ) شهو ن، سعيد ، ٤٠٣ ١٣٨، دراسات في الثقافة الإسلامية/ ٢٣ .

٦- أن علم الثقافة الإسلامية سلوكي : لا يفترق فيه القول عن الفعل ؛ إذ سعى إلى ترجمة الأفكار والتصورات والقيم إلى واقع عملي وقانون سلوكي ؛ لأن الإسلام جاء ليكون نظاما تطبيقيا في الحياة()، ولم يكن في يوم من الأيام أفكاراً مجردة ومبادئ خيالية لا تقبل التنفيذ، إنما هو معتقد صحيح ، وسلوك حسن ، وعمل صالح ، وخلق كريم ، وبسبب ارتباط الثقافة الإسلامية بالإسلام تميزت عن غيرها من الثقافات في الاهتمام بالجانب السلوكي والعملي ، فقد تميزت عن الثقافة الغربية التي ماتت فيها حاسة الرقي الأخلاقي بعد أن أصبحت تمجد كل ما يثبت عن طريق الحس والتجربة ، ونسيت وهي في زحام الماديات أصول الأخلاق ومبادئ السلوك إلا ما تقتضيه مصلحتها المادية والدعائية ، مثل أساليب المعاملة المهذبة التي تروج التجارة ، وينشأ عنها رابطة مؤقتة لا تلبث أن تزول بمجرد زوال سببها .

٧- أن علم الثقافة الإسلامية إنساني وعالمي : فهو يحترم الإنسان ، ويرعى كرامته ، ويؤكد على إثبات حقوقه ، وينظر إليه على أنه مخلوق مكرم ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإِسْرَاء: ٧٠] ومستخلف في الأرض لعمارتها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٣٠] فلا يأبه بالفوارق البشرية التي تواضع عليها الناس ، فالناس سواسية لا يتفاضلون إلا بالعمل الصالح كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحُجُرَات: ١٣] والإنسان له حرمة مهما كان دينه،

( ) شهو ن، سعيد ، ١٤٠٣هـ، دراسات في الثقافة الإسلامية/ ٢٥.

في الحديث أن رسول الله ﷺ مرت به جنازة فقام، فقيل له: إنه يهودي! فقال: (أليسَت نفسًا؟!)().

وقد كان لارتباط الثقافة الإسلامية بالإسلام أكبر الأثر في جعلها عالمية الوجهة ، فهي ثقافة كل من يدين بالإسلام ، ويتوجه إليه خطاب (يا أيها الناس) و (يا أيها الذين آمنوا) ؛ لذا تخطت مراحل الجنس والزمن والأرض ؛ وذلك لكونها تصدر من القرآن الذي وصفه الله تعالى في قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [التَّكْوِير: ٢٧] ومن السنة التي وصف الله صاحبها عليه الصلاة والسلام في قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأَنبِيَاء: ١٠٧] فهي بهذا عالمية المقصد والوجهة.

( )ر واه مسلم في الجنائز ، باب القيام للجنازة .

الباب الثالث

مصادر علم الثقافة الإسلامية ومحاوره

الفصل الأول
مصادر علم الثقافة الإسلامية

يستمد علم الثقافة الإسلامية مفاهيمه وتصوراته ومكوناته من مصادر ثلاثة :-

أ – الوحي .

ب – التراث الإسلامي .

ج – الخبرات الإنسانية النافعة .

وهنا قد يتبادر إلى الذهن تساؤلات ؛ أهمها:

ما المقصود بهذه المصادر؟ ، وما درجة اعتماد علم الثقافة الإسلامية عليها في قضاياه؟ وما ثمرة هذا الاستناد؟ يمكن الإجابة على هذه التساؤلات من خلال الحديث عن هذه المصادر .

أ– الوحي : هو المصدر الرئيس الذي يعتمد عليه علم الثقافة الإسلامية في تقرير قضاياه ، وهو في اللغة : الإشارة والكلام والإعلام الخفي(١)، وفي الاصطلاح : (إعلام الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم ؛ ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر)(٢).

فعن طريق الوحي يتصل الرسول ﷺ بالله تعالى على صفة يرتقي فيها من هيئته البشرية العادية إلى هيئة تؤهله للقاء الملك ، وهو جبريل عليه السلام ، فيتلقى منه كلام الله في صورة أمر ونهي وخبر ، ويظهر أثر نزول الوحي على جسمه ﷺ فإنه يغط ، ويثقل ثقلا شديدا ، ويتصبب من جبينه العرق في اليوم الشديد البرد ، وقد يصحب بصوت يكون كالجَرَس إذا صلصل في أذن سامعه ، فربما سمع الحاضرون صوتا كدوي النحل ، ويأتي ملك الوحي جبريل عليه السلام على أساليب شتى ، فتارة يظهر للرسول ﷺ في صورته الحقيقية الملكية ، وتارة

( ) الأزهري، أبو منصور محمد١بن أحمد تحقيق د عبد الله درويش ، تهذيب اللغة ١/ ٢٩٧ ، وابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم ، تحقيق عبد الله الكبير وآخرين ١/ ٤٧٨٧ ، الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، عام ٣٧١ هـ ، القاموس المحيط / ٤٠١ .

( ) الزرقاني ، محمد عبد العظيم٢، مناهل العرفان في علوم القرآن ١/ ٥٦ .

يظهر في صورة إنسان يراه الحاضرون ، وقد تمثل في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه ﷺ، وتارة يهبط على الرسول ﷺ خفية فلا يرى ؛ لكن يسمع الرسول ﷺ صوته ، ويعي ما يوحي به ، ويعلم أنه وحي من الله دون لبس ولا خفاء ، فإذا انجلى عنه الوحي وجد ما أوحي إليه حاضرا في ذاكرته(١)، في الحديث أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل النبي ﷺ: كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: (أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، ثم يفصم عني وقد وعيته، وأحيانا ملك في مثل صورة الرجل، فأعي ما يقول) وعن عائشة رضي الله عنها قالت : (إن كان لينزل على رسول الله ﷺ في الغداة الباردة، ثم تفيض جبهته عرقا)(٢).

وينقسم الوحي إلى قسمين: القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة .

القسم الأول: القرآن الكريم: تلقاه الرسول ﷺ عن ربه بواسطة جبريل عليه السلام عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٩٢ - ١٩٦].

ومعنى القرآن في اللغة : الجمع والضم والتلاوة ، وسمي قرآنا لأنه يجمع السور ويضمها ، ولأنه يتلى ، يقال قرأت القرآن أي لفظت به مجموعا ، وبهذا المعنى يكون القرآن بمعنى المقروء أي المتلو ، قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ [القِيَامَة: ١٦ - ١٨] أي قراءته ، وقد صار لفظ القرآن علما على الكتاب المنزل على محمد ﷺ.

وفي الاصطلاح : هو كلام الله المنزل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته ، المنقول إلينا نقلا متواترا بلا شبهة(٣).

( ) الزرقاني ، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن ١/ ٥٧ .

( ) رواه مسلم في الفضائل ، باب عرق النبي ، رقم / ٢٣٣٣.

( ) دراز ، محمد بن عبد الله ، النبأ العظيم/ ١٤ ، ١٥، والبوطي، أصول ١/ ٢١ .

أسلوب القرآن:

يعنى الباحثون في الدراسات اللغوية بدراسة أسلوب القرآن الكريم ، من حيث تركيب ألفاظه وجمله ، واستيضاح دلالات آياته ؛ ولكن الذي يعنينا منه في علم الثقافة الإسلامية نوع هذا الأسلوب ومساقه العام ، إننا إذا قرأنا القرآن الكريم سنلحظ أمرين :-

الأول: أن القرآن في آياته وعرضه يتبع الأسلوب الإجمالي ، وهذا يتضح من ذكره المجمل لمسائل الإيمان والتوحيد ، وتناوله لكثير من الأحكام التي تتعلق بجميع أعمال الإنسان من عبادة بدنية ومالية ، وعرضه لأركان الإيمان والصلاة والزكاة والصيام والحج ، وذكره للمسائل التي لها شأن في الحياة مثل البيع والإجارة والرهن ، وبيانه لحكم الربا وحكم الجنايات ، وتحديد عقوبتها ، و للأمور التي تتعلق بنظام الأسرة وتكوين البيوت من زواج وطلاق ونفقات وحضانة ووصية وأدب استئذان ، وللأمور التي تتصل بالدعوة إلى الله وشؤون الدولة والجهاد وعلاقة المسلمين بغيرهم ، وما ينشأ عنها من معاهدات ، فإنه يعرض ذلك في الغالب على سبيل الإجمال ؛ إلا في مسائل قليلة فصلها كتفصيله لأحكام مسائل الميراث ، وتحديده للمحارم من النساء ، وتفصيله لأنواع المحرمات من الطعام ، فهو بهذا الأسلوب المجمل يجعل آيات القرآن بمثابة القواعد العامة والثابتة ، والتي أصبحت بعد انقطاع الوحي محكمة ؛ لا يطرأ عليها بعد استقرارها نسخ أو تغيير ، وقد أثار هذا الأسلوب على مر الزمن وتغير الأحوال وتطور الظروف العقول لتدبر القرآن ، والوقوف على ما فيه من حكم وأحكام ومصالح وهدايات(١) .

الثاني: أن القرآن في عرضه وتناوله إنساني النزعة والهدف والغاية ، شمولي النظرة ، فالعقائد التي يدعو إليها ، والمبادئ الأخلاقية التي ينادي بها:، والنظم التشريعية التي يعلنها ، كلها إنسانية النزعة والهدف والغاية ، ومبادئ إقامة العدل ومنع الظلم واتباع الحق وفعل الخير والإحسان وغيرها من المبادئ المنثورة في القرآن – معروضة في صورتها الشاملة والعامة

( ) علي ن، شوكت محمد ، عام١٤١٦ هـ الثقافة الإسلامية وتحديات العصر/ ٨٥.

ومفهومها الإنساني ، لقد تعرض القرآن لجميع قيم الحياة ، وحدد موقفه منها ، وهي قيم يواجهها الناس في كل العصور وجميع المجتمعات البشرية ، وتقيم عليها المذاهب الفلسفية والخلقية بناءها ، مثل عرضه لقيمة القرابة والتجارة والمسكن ، وتبيينه لموقعها من قيمة حب الله والجهاد في سبيله في قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التَّوْبَة: ٢٤].

إن غاية القرآن من هذا الأسلوب إيقاظ ضمير الإنسان ، وربطه بخالقه ، وإشعاره بمسؤوليته ، وتحريره من الجزئيات ليسير في طريق المبادئ والقيم الإلهية ، ويتبع في نظام حياته وسلوكه منهج الله تعالى ، الذي لن يستقيم أمره ، ويتمتع بالعدالة ، وتتأمن له الحرية ، ويعيش في مجتمع متعاون ومتآلف ومتماسك ، يرتبط برباط من الدين والإنسانية إلا في ظله وهديه .

الثمرات التي يجنيها علم الثقافة الإسلامية من اعتماده على القرآن :

لعل أهم الثمرات التي يجنيها علم الثقافة الإسلامية من اعتماده على القرآن في نظرته وتصوراته ومواقفه ، ما يلي :

- الصحة والصدق في القضايا الغيبية التي يبنى عليها تصوراته : لأنه يستند على كلام الله تعالى الذي لا تشوبه أوهام البشر ، ولا أهواؤهم ، قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأَنْعَام: ١١٥] ، فهو كلام إلهي يتناول ما يتصل بالله تعالى وأسمائه وصفاته وباليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين ، وغيرها من أمور الغيب المحجوبة عن عقول البشر ، التي لا تستطيع الوقوف على شيء منها على وجه الصحة والصدق إلا عن طريقه ، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجِن: ٢٦ - ٢٧].

- التوازن والعمق في التناول والهدف ، فقد تأثر علم الثقافة الإسلامية بمنهج القرآن في سعة قضاياه ، وتناوله صنوف الهداية والحكمة والموعظة الحسنة ، ووجوه الإصلاح التوجيهي والتربوي والتشريعي ، واستهدافه ما يسعد البشر أفرادا وأسرا وجماعات ودولا في دينهم ودنياهم لو أنهم اهتدوا به واتبعوه ؛ لذا أعجز حكماء الأمم ومفكري الشرق والغرب أن يأتوا بمثله في شموله وتوازنه وعمقه .
- الشمولية والتنوع في الخطاب والقضايا ، فقد سلك علم الثقافة الإسلامية مسلك القرآن الذي (خاطب العقل:، ولم يقصر خطابه على الضمير والوجدان ، وفي حكمه أن النظر بالعقل هو طريق الضمير إلى الحقيقة ، وأن التفكير باب من أبواب الهداية التي يتحقق بها الإيمان ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ [سَبَإ: ٤٦]، وما كان الشمول – في القرآن – ليذهب فيه مذهبا أبعد وأوسع من خطاب الإنسان ؛ روحا وجسدا وعقلا وضميرا ؛ بغير بخس ولا إفراط في ملكة من هذه الملكات)(١).

القسم الآخر – السنة ، معناها في ا للغة : السيرة والوجهة والطريقة(٢) ؛ محمودة كانت أو مذمومة ، ومن استعمال هذا المعنى في الأمرين قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أوزراهم شيء)(٣) .

وفي الاصطلاح: هي كل ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقِية أو خُلُقية أو سيرة (٤).

( ) العقاد ، عباس ، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه/ ٢٤ .

( ) ابن منظور ، جمال الدين٢محمد بن مكرم ٣/ ٢١٢٤ ،الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ٤/ ٢٣٩ .

( )ر واه مسلم في الزكاة ، باب ٣الحث على الصدقة ولو بشق تمرة.

( ) حكيم ، محمد طاهر، عام ١٤٠٤ هـ ، السنة في مواجهة الأباطيل/ ١١.

أسلوب السنة:

اختلف أسلوب السنة عن أسلوب القرآن الكريم ؛ فإذا كان كتاب الله الكريم متضمنا للقواعد العامة في التشريع ، ومشتملا للأحكام الكلية في الغالب ، مما جعله خالدا خلود الحق – فإن السنة الكريمة عنيت بشرح هذه القواعد ، وبيان تلك الأحكام ، وتفريع الجزئيات على الكليات:؛ لذا فإن كل من درس أسلوب السنة دراسة وافية سيلحظ ما يلي :

الأول: أن السنة سلكت في الغالب مسلك البيان والتفصيل ، فقد فصلت السنة مجمل القرآن ، ووضحت مُشكلَهُ ، وقيدت مطلقه ، وخصصت عامه ، قال القرطبي في تفسيره : (جعل الله إلى رسوله ﷺ بيان ما كان من القرآن مجملا ، وتفسير ما كان منه مشكلا ، وتحقيق ما كان محتملا ؛ ليكون له مع تبليغ الرسالة ظهور الاختصاص به ، ومنزلة التفويض إليه)(١) وهذا من معنى قوله تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النَّحل: ٤٤] الذي يدل على أن البيان من وظيفة الرسول ﷺ، والمطلع على السنة يقف على أحاديث نبوية كثيرة ، واردة في سياق التفصيل الدقيق لمجملات القرآن ، التي شملت كل آفاق التشريع في العبادات والمعاملات والأخلاق والآداب .

الثاني: أن السنة بينت ما كان له أصل في القرآن ، فسكت عنه ، فلم يوجبه ، أو ينفه كالأحاديث التي بينت حرمة الجمع بين المرأة وعمتها ، أو خالتها المعللة بقول الرسول ﷺ: (إنكم إذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم)(٢)، وبينت ثبوت الحرمة بالرضاع كما يحرم من النسب وميراث الجدة والقضاء بشاهد ويمين .

الثالث: أن السنة ممثلة في سيرة الرسول ﷺ شرحت للناس أمور الدين من الناحية العملية، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ

( ) القرطبي ، أبو عبد الله محمدابن أحمد الأنصا ي، الجامع لأحكام القرآ ن ٨/ ٢ .

( ) ر واه ابن حبا ن في صحيحه٢ ٨/ ٤٢٦ ح رقم(٤١١٦)، وقال محققه شعيب الأرنؤ وط: حديث حسن.

ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأَحْزَاب: ٢١]، وقالت عائشة رضي الله عنها: (كان خلقه القرآن)(١).

حاجة علم الثقافة الإسلامية إلى الوحي:

الوحي مصدر جميع الدراسات الإسلامية ؛ لأنه النبع الأصيل الذي فاضت ، وتفيض منه روافد علوم الإسلام ومعارفه ، وعلم الثقافة الإسلامية يستند على القرآن والسنة قسمي الوحي في تحديد مفاهيم الإسلام وتصوراته ، وتوضيح قيمه ومبادئه وأخلاقه ، وتبيين نظمه ومواقفه من التراث البشري المتراكم ، وذلك لثلاثة أمور :

الأول: أنه كغيره من العلوم بحاجة إلى سند يستند عليه في تقرير قضاياه وتبيينها ، المجمع عليها ، والمختلف فيها ، والقرآن الكريم والسنة النبوية من أقوى المصادر السماوية سندا، وأصحها طريقا ، وأغناها دلالة وبيانا ، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النِّسَاء: ٥٩].

الثاني: أنه بحاجة إلى مستند يعصمه من الوقوع في الخطأ والزلل ، فكان في استناده على القرآن والسنة سلامة له من الضلال والانحراف اللذين لم تنجوا منهما ثقافات بشرية أعرضت عن وحي الله ، واستندت على التراث البشري وحده ، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشُّورَى: ٥٢] ، وقال الرسول ﷺ: (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما مسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه)(٢).

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره ١ جامع البيا ن ٢٩/ ١٨، وهو حديث صحيح رواه مسلم بلفظ آخر في صلاة المسافرين ، باب جامع صلاة الليل .

(٢) رواه مالك في القدر ، باب٢ النهي عن القول بالقدر بلاغا؛ لكن يشهد له حديث ابن عباس عند الحاكم ١/ ٩٣، بسند حسن فيتقو ى به . ابن الأثير ، حاشية جامع الأصول في أحاديث الرسول . تحقيق الأرنؤ وط، عبد القادر ١/ ٢٧٧.

الثالث: أنه بحاجة إلى ما يميزه عن غيره من الثقافات الأخرى ، فكان في استناده على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ سر المحافظة على ذاتية هذه الثقافة ، واستقلالها عن غيرها في مرتكزاتها ومفاهيمها ومواقفها .

ب– التراث الإسلامي: وهو مجموع ما خلفه الفقهاء من إجماع وقياس وآراء اجتهادية وأقوال المفسرين والمحدثين الثقات ، وأقوال أهل اللغة والبلاغة ، وما رواه المؤرخون والأدباء من أخبار وسير ومواقف وأدب ، وما توارثته الأجيال المسلمة من حضارة وعلوم(١).

والإجماع والقياس من الأدلة الفقهية بعد الكتاب والسنة ، يفيضيان بالأحكام التي تستوفي حاجة كل عصر ، وتثبت بهما أحكام ملزمة لكل ما يجد من وقائع وأحداث لا تشملها دلالة ظاهر نصوص القرآن والسنة ؛ فإن النصوص تتناهى ، والأحداث والوقائع لا تتناهى ، والشريعة مؤهلة لاستيعاب مشكلات البشرية ، قادرة على تنظيم حياتهم في كل زمان ومكان(٢)، فإنه عن طريق الاجتهاد المنضبط يتم التوصل إلى هذه الأحكام ومعرفة حكم الله فيها ، وتبقى بقية أنواع التراث الإسلامي إذا كانت صحيحة موثقة معينا للمثقف لا ينضب، ينهل منه للاستشهاد في كل ما يتناوله من موضوعات ثقافية وقضايا فكرية وتدعيمها ، ويرى فيه وجه الأمة الناصع في ماضيه الطويل .

ج – الخبرات الإنسانية النافعة : وهي ما قدمته العقول من خبرات وابتكارات ونظريات ومعارف وعلوم ، فإنها مصادر إضافية تستند عليها الثقافة الإسلامية في تقرير أمر من أمور الدنيا شريطة أن لا تتعارض مع نصوص الوحي(٣)؛ لقول الرسول ﷺ: (أنتم أعلم بأمر دنياكم)(٤)، وأن لا تكون مضرة؛ لقول الرسول ﷺ: (الكلمة الحكمة ضالة المؤمن)(٥).

( ) شهو ن، رجب سعيد ، عام ١٤٠٣ ، دراسات في الثقافة الإسلامية/ ٢٨ .

( ) علي ن، شوكت محمد ، عام ١٤١٦ هـ ، الثقافة الإسلامية وتحديات العصر/ ٨٤ .

( ) شهو ن، رجب سعيد ، عام ١٤٠٣ ، دراسات في الثقافة الإسلامية/ ٢٨ .

( )ر واه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب وجوب امتثال ما قاله ﷺ: شرعا ؛و نما ذكره من معايش الدنيا على سبيل الر ي.

( )ر واه الترم ي ،كتاب العلم، باب ما جاء في عالم المدينة ، وقال غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

أهمية الانتفاع بالعقل ومدى استقلاله:

تأتي أهمية الانتفاع بما يقدمه العقل من جهة أنه مطبوع على التمييز بين الأمور ، ومهيأ لتحمل المأمور به ، والامتناع عن المنهي عنه، ومعرفة العواقب(١)، كما أن من صفته الإشارة إلى الصواب والهداية إلى الحق(٢)؛ لذا كان أداة للاختيار ومناطا للتكليف(٣) .

لذا كان العقل مصدرا للفضيلة وينبوعا للأدب ، ومفتاحا للخيرات ، وأصلا لكل طاعة(٤)؛ إلا أنه لا يستقل في تأسيس ثقافة المجتمع الإسلامي ؛ وإن كان ينظر إليه على أنه شرط في التكليف ومناط للأهلية ، ذلك أنه مهما أوتي من قوة وذكاء لا يصل في حكمه إلى درجة الكمال دائما ، ولا يستقل في معرفة ما دق من الخير والشر مما غاب عن الحس من الحق والشر ، فإنه مثل ما يصيب أحيانا يخطئ حينا آخر في تقدير الأمور التي في طاقته ، إلى جانب أن الناس متفاوتون في تفكيرهم وإدراكهم ، وغلبتهم لشهواتهم وأهوائهم، فما يعد مصلحة عند طائفة منهم يعد مفسدة عند غيرهم، وما يعتبر فضيلة عند فئة منهم يعتبر رذيلة عند غيرهم ، فلو ترك أمر ثقافة المجتمع لعقول الناس لا التبس عليهم الأمر، ولحصل بينهم اختلاف كثير وتباين واسع في المفاهيم وتنافر في المواقف ، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النِّسَاء: ٨٢]؛ لكن يمكن الاستفادة من خبرة العقل الإنساني وتجربته ورؤيته إذا كان منضبطا بمقياس الحق والباطل الذي دل عليه الوحي(٥).

( ) المكي ، أبو طالب ، قوت القلوب ١/ ١١٤ ، والمحاسبي ، الرعاية لحقوق الله/ ٢٥٢.

( ) الأصفهاني ، أبو القاسم ، الذريعة إلى مكارم الشريعة/ ١٠٢.

( ) قلعه جي وآخر ، محمدر واتل ، العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة/ ١١٩ .

( ) الماوردي، أدب الدنيا والدين / ١٩ ، وابن القيم ، مفتاح دار السعادة ١/ ١٨٣ .

( ) عليان، شوكت محمد ، عام ١٤١٦ هـ ، الثقافة الإسلامية وتحديات العصر/ ١٥ + ١٦ .

درجة اعتماد علم الثقافة الإسلامية على المصادر السابقة :

يعد الوحي أعلى المصادر ؛ لأنه المصدر الوحيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، ولا يخضع للهوى ، ولا يتأثر به ؛ لكن هذا لا يعني أن الثقافة الإسلامية تلغي العقل ومخرجاته ، ولا تتنكر للمعارف والابتكارات التي يتوصل إليها الإنسان عن طريق التجربة والملاحظة والرصد الفكري لسنن الله الكونية المطردة ، إلا أن ثمت فارقا بين المصدرين خلاصته أن المعرفة التي يتلقاها الإنسان بمداركه من هذا الكون قابلة للخطأ والصواب ؛ لأنها من عمل الإنسان ، أما ما يتلقاه من الوحي فهو الحق اليقين المعصوم من الخطأ الذي لا يتطرق إليه في أي حال من الأحوال ؛ لكن إذا تبين أن هذه المعرفة العقلية حقيقة علمية ، فإنه لا يمكن على مدى الدهور والأزمان مهما اتسعت دائرة العلم والاختراع أن يصادم الوحي علما مقطوعا بحقيقته ، ولا كشفا عرفت مباديه ونهايته وسائر ظروفه ؛ لأن الوحي مصدر شريعة خالدة ، وهو حق من عند الله تعالى ، والحق لا يصادم الحق() بأي وجه من الوجوه .

( ) عرجون، محمد الصادق ، عام ١٣٩٢هـ ، نحو منهج لتفسير القرآن/ ٦٩ .

الفصل الثاني

محاور علم الثقافة الإسلامية

ينقسم الباحثون في تحديد محاور علم الثقافة إلى قسمين ، ويعود هذا الانقسام إلى طبيعة الاتجاه في تعريف الثقافة من الناحية الاصطلاحية .

القسم الأول : الاتجاه العام : وهو اتجاه الذين اتصف تعريفهم للثقافة بالعموم ، منهم الأنثربلوجيون وعلماء الاجتماع وكثير من المثقفين الغربيين ، وإلى هذا الاتجاه يميل مالك بن نبي في نظرته التي تمزج الثقافة المعنوية بالحضارة المادية()، فهؤلاء توسعوا في هذه المحاور وتصنيفها ، ومن أشهر تصنيفهم تصنيف لرالف لينتون الثلاثي ، الذي جعل الثقافة تشمل أنواعا ثلاثة ، هي :

الأول : العموميات : وهي : جميع الأفكار والتصرفات والمشاعر وعلاقات القرابة والأزياء والمعتقدات والقيم والمنتجات الصناعية المشتركة ، والتي يشترك فيها أفراد مجتمع أو أمة من الأمم، وتؤلف بينهم ، وتعطيهم طابعهم الخاص الذي يميزهم عن غيرهم .

الثاني : الخصوصيات : وهي : تلك الظواهر التي يشترك فيها أفراد من مجموعات اجتماعية متميزة ومعينة ، وتنقسم إلى نوعين : –

١–الخصوصيات الطبقية التي تشيع بين فئة معينة ، كالأزياء والأثاث والسيارات الحديثة.

٢–الخصوصيات المهنية التي تستلزم ممارسات معينة ، أو مهارات فنية كالأعمال الصناعية والحرفية والفنون كفن النحت والتصوير.

الثالث: المتغيرات أو البدائل : وهي أمور مستحدثة مادية ، أو معنوية ، تأتي إلى المجتمع من خارجه نتيجة الاحتكاك المباشر بينه وبين مجتمعات أخرى ذوات ثقافات مختلفة() ، ومن أمثلة المتغير المادي وسائل الاتصال الحديثة ، ومن آخرها الهاتف النقال الذي أصبح استعماله شائعا في المجتمعات ، وساهم في سرعة الاتصال ، وتوثيق الصلات بين أفراد المجتمع ، والمتغير المعنوي مثل ظاهرة السفور بين النساء في كثير من المجتمعات

( ) نبي ، مالك ، ترجمة عبد الطبور شاهين ، عام ٤٠٥ هـ ، شر طالنهضة/ ١ ٨ ٨٢.

( ) نيللر ، ج . ف ، ترجمة محمد منير مرسي وآخرين ، انثر وبلوجيا التربية/ ١٥– ١٦، ومرسي ، محمد عبد العليم ، عام ٤١٥ هـ ، الثقافة .. والغ و الثقافي/ ٦٠ ٦٤.

الإسلامية ، وهي ظاهرة غريبة غلى المجتمع الإسلامي ، ظهرت بسبب الاتصال بالمجتمع الغربي والتأثر بثقافته ، ولا ريب (أن المتغيرات المتصلة بالجوانب المادية في الثقافة يسهل استقرارها نتيجة سرعة تقبلها من أفراد المجتمع ؛ نظرا لفاعلية وظيفتها ، وظهور أثرها سريعا ، بينما نجد العكس في استقرار المتغيرات المتصلة بالجوانب المعنوية في الثقافة كالقيم والاتجاهات الفكرية والخلقية والعادات والتقاليد الاجتماعية ؛ نظرا لصعوبة تكيف الأفراد معها ، والاستبدال بالعلاقات القائمة فعلا علاقات أخرى ، وهكذا نجد أن المتغيرات قد تستقر سريعا ، أو قد تبقى مترددة حائرة متنافسة ، أو قد تتردى ليقوم مقامها أخرى تمر بالدور نفسه وهكذا)(١).

القسم الآخر: الاتجاه النوعي : وهو اتجاه الذين اتصف تعريفهم بالنوعية، منهم علماء الثقافة الإسلامية وأصحاب الثقافات الدينية ، وهؤلاء يعطون الدين دورا كبيرا في صياغة الثقافة وتوجيهها ، ويقصرون محاور الثقافة على العناصر الكلية ذات الصفة المعنوية ، لا المادية ؛ لذا يخرجون من مضمون الثقافة الأشياء المهنية والفنية كفن النحت والخزف والموسيقى والتصوير والزينة وأشياء أخرى يدرجها أصحاب الاتجاه الأول ضمن الثقافة المهنية ؛ وهي أمور نجد الثقافة الغربية تكاد تحصر جهودها في الحديث عنها ؛ دون عناية بأمور أكثر أهمية منها ، وارتباط بذاتية الثقافة كالموقف من الكون والإنسان والحياة أو النظم والأخلاق(٢) ، وغيرها من الموضوعات ذات الأهمية البالغة في علم الثقافة الإسلامية .

ويمكن تحديد أبرز محاور علم الثقافة الإسلامية وموضوعاتها فيما يلي:

١- المفاهيم : وهي المعاني الكلية التي تضبط القضايا الفكرية ، وتعمل على تأصيلها عن طريق بيان معناها العام في القرآن والسنة وفهم السلف ، وتجلية حدودها ومجالاتها ، ودفع ما قد يلتبس بها من معان خاطئة ، تنحرف بها عن معناها الأصيل ، مثل مفهوم المساواة والحرية والعبادة والتجديد والسعادة الإنسانية والتسامح الديني ، ويلحق بهذه الموضوعات دراسة خصائص الإسلام ومقوماته الكبرى .

( ) سرحـ ن، منير الموسى ، عام ١٩٨١م، في اجتماعيات التربية / ١١٤.

( ) إبراهيم ، أحمد عبد الرحمن ، مجلة كلية الشريعة بالرياض ، العدد / ١٣، (بحث) الإسلام والتغيير الثقافي ٣٩١.

٢- القيم : وهي تلك الأحكام الثابتة المستقرة في نظر المجتمع ، التي تُقَوَّم في ضوئها سلوكيات الناس من حيث كونها حسنة أو رديئة ، وطيبة أو قبيحة()، ومن أمثلة القيم الحسنة الحق والعدل والإحسان والأمانة ، ومن أمثلة القيم الرديئة الباطل والظلم والخيانة والكذب .

وتتصف القيم على مر التاريخ الإسلامي بالانسجام والاحترام ، وتقوم على قانون الفضيلة والخلق والحياء ، وتنبع من مصادر الإسلام القرآن والسنة ، ويلتزم بها الفرد المسلم عن طريق التأسي بالرسول ﷺ الذي كان خلقه القرآن كما وصفته عائشة رضي الله عنها()، والتأسي بأصحابه ﷺ؛ لذلك تشكل القيم وحدة النظام الأخلاقي في المجتمع الإسلامي ، وتعمل على تقارب سلوك الأفراد ، وتنظيم العلاقات بينهم ، يظهر هذا في المناسبات والعادات كالأعياد وآداب الضيافة والجوار()، وقد بقيت هذه القيم في المجتمع الإسلامي محافظة على نصاعتها إلى تبدلت عن صورتها الشرعية ؛ مما أدى إلى ظهور قيم بديلة سيئة كالاختلاط والسفور والأثرة الفردية .

٣- القضايا الفكرية: تتسم بالطابع الفكري ، والفكر من صفات العقل الذي يمكن أن يوصف بأنه : القوة الغرزية التي تنمو شيئا فشيئا:، ويتمكن الإنسان بها حسب درجتها عنده من إدراك الحقائق والتمييز بين الأمور:، تزداد بالتجربة والخبرة ، وتستنبط بها المصالح ، ويوقف بها على العواقب().

ويمكن ضبط القضايا الفكرية في كونها تبحث في المسائل المستجدة العامة التي تكون مجال اجتهاد العقل المنضبط بالعلم الشرعي ؛ بحيث يتم من خلالها مناقشة مفرزات الحاضر الثقافي في جوانبها الإيجابية والسلبية ، وهذا المحور يعنى بالقضايا الكلية ، لا الجزئية ، وبدراسة

( ) قنبر ، محمود ، دراسات في أصول التربية/ ٦ ٣ ٣٧.

( ) الحديث سبق تخريجه. ٢

( ) شهو ن، رجب سعيد ، دراسات في الثقافة الإسلامية/ ٢٠.

( ) التهانو ي، محمد علي ، كشاف اصطلاحات الفنو ن ٣/ ١٠٣٤.

مصادر الفكر الإسلامي ومقوماته وتاريخه ، وبدراسة قضايا الفكر المعاصر كقضية الوجود والتطور والسببية والتجديد والوحدة والتخلف والتبعية والمعرفة والعقلانية(١).

٤- **النظم**: وهي مجموعة التشريعات والأعراف التي تقوم عليها حياة المجتمع ، وتنتظم بها أمور الدولة(٢) ، وهذا المحور يدرس مصادر النظم وأسسها وأهدافها وآثارها والرد على الشبهات المثارة حولها ، ومن أبرز هذه النظم في الثقافة الإسلامية ما يلي :

- نظام العقيدة : ويشمل دراسة قضايا الألوهية وعالم الغيب .
- نظام العبادة : ويشمل دراسة مكانة الدين ، وآثارها الفردية والاجتماعية ، وسمات شعائرها.
- النظام العلمي: ويشمل دراسة مكانة العلم في الإسلام ، ومصادر المعرفة ، وأوجه اهتمام الإسلام بجانبي التعليم والتربية .
- النظام الخلقي : ويشمل دراسة الشعور الخلقي ، ومعيار القيم ، ومصادر الالتزام الخلقي ، وأصول الأخلاق الإسلامية .
- النظام الاجتماعي : ويشمل دراسة أسس البناء الاجتماعي ، وأهمية الأسرة ، وعلاقات أفرادها وحقوقهم ، ونظام تعدد الزوجات والطلاق ، ومكانة المرأة في الإسلام .
- النظام الاقتصادي : يشمل دراسة الملكية بنوعيها ، ومجالاتهما ، ونظام العمل وحقوق العمال ، والتكافل الاجتماعي القائم على فريضة الزكاة ، وأثره الاجتماعي .
- النظام السياسي(٣) : ويشمل دراسة نظام الحكم في الإسلام ، والأسس التي يقوم عليه ، وحقوق الحاكم والرعية ، والعلاقات الدولية(٤).

٥- **المذهبيات الفكرية** : المذهبية هي : منهج فهم الدين أو الحياة، أو هي: اتجاه فكري منسجم مؤثر في الفهم والعمل ، ويتحقق في زمن طويل(٥)، ويتناول هذا المحور دراسة

( ) الطريقي وآخرون، عبد الله، عام ١٤١٧ هـ ، الثقافة الإسلامية تخصصا/ ٣٨ ٨٦.

( ) سعيد ، محمد رأفت ، عام ١٤٠٢ هـ ، المدخل لدراسة النظم الإسلامية/ ٥ .

( ) الزلي ي، مجلة جامعة الإمام ، العدد الثاني ، (بحث) المدخل إلى علم الثقافة الإسلامية / ٩٧ .

( ) الطريقي وآخرون، عبد الله، عام ١٤١٧ هـ ، الثقافة الإسلامية تخصصا/ ٤٧ ٧٧.

( ) زيادة ، معن (رئيس التحرير) ، الموسوعة الفلسفية العربية ١/ ٧٤١.

المذهبيات الفكرية في الثقافة الإسلامية لبيان ما يتفق مع الإسلام أو يختلف ، ونقد مبادئها الفاسدة ، وبيان أوجه إخفاقها في واقع الحياة البشرية ، ويتم من خلال هذه الدراسة التعرف على تاريخ نشأتها وتصوراتها وآثارها ، ثم نقدها ، ومن هذه المذهبيات – على سبيل المثال –: الرأسمالية، والاشتراكية، والعلمانية، والوضعية:، والتطويرية ، والوجودية ، والذرائعية ، والاستشراق ، والحداثة ، والعولمة(١)، وتكون دراسة هذه المذهبيات من ناحيتي: الأولى : تحليل مذهبها الفكري ، ونظرياتها التي تقوم عليها ، والأخرى : دراسة جانبها العدائي للإسلام للتعرف على أهدافها في العالم الإسلامي ، ووسائلها في محاربة الإسلام ومجالات طعونها ، والشبه المثارة من قبلها ، ونقدها(٢).

( ) الزلي ي، مجلة جامعة الإمام ، العدد الثاني ، (بحث) المدخل إلى علم الثقافة الإسلامية / ٩٨ ، والطريقي وآخ ن، عبد الله ، عام ٤١٧ هـ ، الثقافة الإسلامية تخصصا/ ٨٨.

( ) الزلي ي، مجلة جامعة الإمام ، العدد الثاني ، (بحث) المدخل إلى علم الثقافة الإسلامية / ١٠٤ .

الباب الرابع
ركائز الثقافة الإسلامية والتصورات الأساسية

الفصل الأول

ركائز الثقافة الإسلامية

تعتمد الثقافة الإسلامية في نظرتها ومنطلقاتها ومواقفها على ثلاثة مرتكزات ، الأول العقيدة ، والثاني الشريعة ، والثالث الأخلاق ، وهي مرتكزات تتلاقى جميعا على بناء منهج فكري منسجم ، يعمل على وضوح رؤية الإنسان المسلم ، وسلامة مقصده ، وسمو أهدافه في هذه الحياة .

المرتكز الأول – العقيدة : –

أ – تعريفها ، لغة : العقيدة مشتقة من مادة عقد الحبل إذا شده وربطه ، وعُقْدَة كل شيء إبرامه ، ثم استعملت في المعاني ، فيقال : عقد العهد واليمين يعقدهما عقدا وعَقَّدَهما أي أكدهما ؛ ومنه اليمين والعهد سميت عقدا لأنها تستعمل للتأكيد والتوثيق ، قال تعالى : (لا يُؤَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمْ الأَيْمَانَ)[1] ، ومنه أيضا العهد ، قال تعالى : (وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا)[2] والمعاقدة هنا هي المعاهدة[3]، ومنه عقد البيع وعقد النكاح ، وتدخل جميعها في عموم معنى العقود في قول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ)[4].

واصطلاحا : هي الحكم المستقر في القلب الذي لا يقبل الشك عند مصدقه . أو هي ما يدين به الشخص من إيمان لا يقبل الشك ، حيث يرتبط به القلب ارتباطا وثيقا كارتباط الحبل بما يربط به .

هذا التعريف يقتضي ما يلي : –

١– أن لا يطلق مصطلح العقيدة إلا على العقيدة التي يكون مصدرها الله تعالى ؛ لأن ما سواها من الأفكار والمذاهب والفلسفات لا يمكن أن تستقر في القلب استقراراً تاماً دون أن

( ) سورة المائدة/ ٨٩. ١

( ) سورة النساء/ ٣٣. ٢

( ) ابن منظور ، لسان العرب ٣/ ٣٠٣٠ ٣٠٣١.

( ) سورة المائدة/ ١. ٤

يتطرق إليها شك ؛ لكونها من وضع البشر الذين يخطئون ويصيبون ؛ لذا لا يثق الإنسان بها ثقة كاملة ، ولا يطمئن إليها قلبه اطمئنانا تاما .

٢-أن لا يطلق مصطلح العقيدة إلا على العقيدة الدينية الإلهية الحقة التي جاء بها الإسلام ، فهي وحدها التي سلمت مصادرها من التحريف والتبديل ، ولم تكن محل ريبة أو شك ، وأما الأديان الأخرى فتفتقر إلى السند الصحيح ، فقد طرأ على مصادرها التحريف والتبديل ، فهي وإن بقي في بعضها نتف من الحق إلا أنها لا تكفي في تجلية عقائدها وبيانها ، وتفتقر إلى المعنى اليقيني الذي يسلم له العقل ، ويطمئن إليه القلب ، فهل يتصف قول اليهود على الله تعالى زورا وبهتانا بالعقيدة حينما وصفوه بأنه فقير(١)، وأن يده مغلولة(٢)، وأنه تعب بعد فراغه من خلق السماوات والأرض فاستراح في اليوم السابع(٣) ، وحين وصفوه بالجهل(٤)والندم(٥) ، أو يتصف التثليث الذي جعل من المسيح عليه الصلاة والسلام وروح القدس جبريل عليه السلام شركاء لله في الألوهية ، وأنهم جميعا إله واحد - بأنه عقيدة ، أو يتصف الصلب للمسيح الإله بأنه عقيدة ، وأن ذلك وقع عليه فداء للبشر من أجل تخليصهم من خطيئة أكل آدم من الشجرة ، كيف يخضع القلب ويطمئن لمثل هذه العقائد؟ وكيف توجل لها القلوب وتستجيب وهي لم تصل إلى أغوارها ولم تستقر ؟ .

إن العقيدة الإسلامية وحدها التي يتوافر فيها أمران :-

الأمر الأول - صحة المصدر : فهي تعتمد على القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة اللذين تكفل الله بحفظهما ، قال تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)(٦) ، والسنة معنية بهذا الحفظ ؛ لأنها مبينة للقرآن ، ومفصلة لمجمله ، فصحة المصدر ونقاؤه ميزة تفرد بها الإسلام على اليهودية والنصرانية اللتين طرأ على مصادرها الإلهية تحريف وتغيير ، فاليهود

( ) سورة آل عمل ن/ ١٨١.١

( ) سورة المائدة/ ٦٤. ٢

( ) التوراة ، سفر التكوين/ ٣٢

( ) التوراة ، سفر الخ ج/ ٣ ٥.

( ) التوراة ، سفر الخ ج/ ٥٤ .

( ) سورة الحجر/ ٩. ٦

حرفوا التوراة ، قال تعالى : (أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)[1]، والنصارى أهملوا تدوين الإنجيل ، فنسوا أجزاء منه ، قال تعالى : (وَمِنْ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمْ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)[2]، وتداخلت عليهم رواياته فكثرت الاختلافات بين الأناجيل الأربعة والتناقضات .

الأمر الآخر – الجزم والاستيقان : تستقر العقيدة الإسلامية في الأذهان استقرارا ثابتا وقويا ومقنعا ، يمتلك جميع قوى الإنسان ، ويخضعها تحت تأثيره ، فأصول الإيمان الستة : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقضاء خيره وشره يصدق بها القلب ، ويسلم بها العقل من غير أدنى شك ولا ارتياب ، قال تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا)[3] ، هذا الاستيقان لا تحظى به عقيدة أخرى غير عقيدة الإسلام ؛ إذ لا يطمئن لها القلب ، ولا تستقر في الذهن استقرارا جازما يصل إلى حد اليقين ، وهذا يعود لكونها مختلطة بآراء البشر وأوهامهم ، فالناس مختلفون فيما يثبته الحس القريب ؛ فكيف يؤمنون بحكاية عن غيب بعيد .

٣ – أن لا يطلق مصطلح العقيدة إلا على العقيدة الإسلامية الصحيحة التي يتجرد لها القلب من الشرك ، وتسلم بها الجوارح من الوقوع في ضرب من ضروب الشرك المختلفة ، فالشرك مناقض للإيمان الصادق ؛ لا يمكن أن يجتمعا في القلب ، ولا يقبل الله عملا أشرك فيه العبد معه غيره ، قال تعالى في الحديث القدسي : (أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه غيري تركته وشركه)[4].

( ) البقرة/ ٧٥. ١

( ) المائدة/ ١٤ ٢

( ) الحجرات/ ١٥. ٣

( )ر واه مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب من أشرك في عمله غير الله .

ب –مميزات العقيدة الإسلامية :

١– الوضوح : فهي واضحة في أركانها الستة ؛ الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره ، وما يتصل بها من تفصيلات لا تكاد أن تجد فيها غموضا أو لبسا ، فإن نظرة عاجلة إلى عقائد الأديان القديمة في الهند ومصر وفارس ، والديانة اليهودية والنصرانية بعد تحريفهما ، مثل عقيدة الكارما عند الهنود ، أو التثليث عند النصارى ـ يتضح منها بجلاء ما في هذه العقائد من غموض وسوء معتقد ؛ بخلاف العقيدة الإسلامية التي تتسم بالوضوح وسهولة فهمها ؛ لذا نجد القلوب تستجيب لها بسرعة ، والعقول لا تجد صعوبة في فهمها ، ومن أوضح الأدلة على ذلك سرعة انتشار الإسلام(١) .

٢– ملاءمتها للفطرة : فهي عقيدة منسجمة مع الفطرة السوية الصافية ، ويدل على ذلك زوال الحيرة والقلق والاضطراب النفسي بعد الإيمان ؛ لذا كان الإيمان دين الفطرة (٢) كما قال تعالى : (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)(٣)، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)(٤).

( ) سالم ، رشاد ، المدخل إلى الثقافة الإسلامية/ ١٨١ .

( ) العمري، نادية شريف ، أضواء على الثقافة الإسلامية / ١٠ .

( ) سورة الروم/ ٣٠. ٣

( ) متفق عليه ،رواه البخاري، كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي فمات ، ومسلم ، كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة .

ج –أهمية هذا المرتكز للثقافة الإسلامية : –

١– أن العقيدة تنشئ في النفس الإنسانية يقظة ذاتية تدعو النزعة الفطرية إلى الاستقامة وحسن الخلق ؛ فلا يحتاج معها إلى رقابة خارجية ، وهنا يظهر الفرق بين المؤمن الذي يحمل في نفسه القوة الدافعة إلى العمل المستقيم وبين الكافر الذي لا يستقيم إلا خشية من عقوبة القانون أو فوات المصلحة الذاتية(١) .

٢– أن العقيدة تجيب على أسئلة العقل الذي يثيرها حول مسألة الوجود والنشأة والمصير ، وتفسرها تفسيرا يطمئن له القلب ، ويعتمد عليه ويرضاه ، ولا ريب أن إنكار وظيفة العقل في هذا الجانب يدل على رداءة في التصور ، وضعف في تكوين العقل .

٣– أن العقيدة توجه الإنسان الوجهة الصحيحة في كافة شؤون حياته ، وترتبط بها سلوكيات الإنسان ، وتنبثق منها أخلاقه ، وتنطلق منها أفكاره، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (الإيمان بضع وستون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان)(٢) .

٤– أن العقيدة هي اللبنة الأولى في بناء الإسلام ، وهي التي تمد باقي أجزائه بالحياة ، وتبنى عليها المفاهيم والتصورات والمواقف ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قل آمنت بالله ثم استقم)(٣).

د – صلة علم الثقافة الإسلامية بالعقيدة : يستمد من العقيدة النظرة العامة للوجود والتصور الشامل لقضايا الإسلام ، ويبني عليها نظرته ونظامه الأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي .

( ) العلي ن، شوكت محمد ، الثقافة الإسلامية وتحديات العصر/ ١٤٨.

( ) ر واه البخا ي، كتاب الأدب ، باب الحياء وفضله والحث على التخلق به .

( ) ر واه مسلم ، كتاب الإي ن، باب جامع أ صاف الإي ن.

المرتكز الثاني – الشريعة :

ا – تعريفها : لغة : مورد الماء المعين الظاهر الذي يصلح للشرب ، ثم استعملت بمعنى الطريقة المستقيمة(١) ، وذلك على اعتبار أن مورد الماء سبيل حياة الأبدان وسلامتها من الأسقام ، وأن الشريعة سبيل حياة القلوب ، وسلامة الجوارح من الأثام .

واصطلاحا : هو (كل ما شرعه الله لعباده من العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات ونظم الحياة في شعبها المختلفة ؛ لتنظيم علاقة الناس بربهم ، وعلاقاتهم ببعض ، وتحقيق سعادتهم في الدنيا والآخرة) . أو هي : كل ما شرعه الله تعالى لعباده من أحكام جاء بها نبي من الأنبياء ؛ سواء أكانت متعلقة بكيفية عمل من الأعمال ، وتسمى فرعية عملية ، وقد دون لها علم الفقه الذي يعنى بالأحكام التفصيلية ، أم بكيفية اعتقاد من الاعتقادات وتسمى أصولية وعلمية ، وقد دون لها علم التوحيد ، وعلم الكلام ؛ إلا أن العلماء درجوا على إطلاق اسم علم التشريع على علم الفقه ، مع أن الفقه جزء من الشريعة ، وأن الشريعة تشمل ما يتصل بالتوحيد ، وما يرجع إلى تهذيب النفس والتحلي بالأخلاق الفاضلة (٢) .

ب – مقاصد الشريعة :

ترمي الشريعة إلى مقاصد ، يمكن إجمالها في (عمارة الأرض ، وحفظ نظام التعايش فيها ، واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها ، وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة ، ومن صلاح في العقل وفي العمل ، وإصلاح في الأرض واستنباط لخيراتها ، وتدبير لمنافع الجميع ، يدل على ذلك قول الله تعالى : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ)(٣) ، فهذه الآية دلت على أن المقصود من استخلاف الإنسان في الأرض هو

( ) ابن منظور ، لسا ن العرب ٤١/ ٢٢٣٨ .

( ) العمو ي، نادية شريف ، أضواء على الثقافة الإسلامية/ ١١٣ .

( ) سورة البقرة/ ٣٠ . ٣

قيامه بما طوع به من إصلاحها ، والمراد بالإصلاح هنا إصلاح أصول الناس ؛ لا مجرد صلاح العقيدة .

ويمكن تفصيل هذه المقاصد فيما يلي :

الأول – المقاصد الضرورية ، وهي التي لا بد منها لقيام نظام العالم وصلاحه بحيث يبقى النوع الإنساني مستقيم الحال ، وقد حصرها الفقهاء في خمسة مقاصد ، هي :

١– حفظ الدين الذي عليه مدار الحياة السليمة المستقرة للأفراد والشعوب والأمم ، والمعتمد عليه في معرفة ميزان القيم والعدل ؛ لأنه لو ترك الناس بدون دين يحفظ عليهم عقيدتهم ، وينظم شؤون حياتهم لاضطرب نظامهم ، وسادت بينهم الفوضى .

٢– حفظ النفس التي يتم بها إبقاء حياة الإنسان ؛ لتتم بها من عمارة الأرض ، والقيام بأعمال الخلافة ؛ لذا حرمت الشريعة قتل العمد ، وأوجبت القصاص جزاء وفاقا .

٣– حفظ العقل الذي عليه مدار التكليف ، ويمتاز به الإنسان على سائر الحيوانات ، وبه تسير الأمور على منهج قويم ؛ لذا حرمت الشريعة تناول المسكر ، وأوجبت إقامة الحد على شاربه .

٤– حفظ النسل لما يؤدي إليه تركه من تحول حياة الناس إلى حياة البهائم ، وما يترتب عليه من تزاحم على الأبضاع واختلاط الأنساب ، وذلك مفسدة عظيمة .

٥– حفظ المال الذي يعتبر عصب الحياة ، وسر العمران والتقدم المادي للشعوب ، فشرع الإسلام طرقا للكسب وإنفاقه واستثماره ، وحرم الاعتداء على المال ، وعاقب المعتدي بقطع اليد عقوبة نكالاً .

الثاني – المقاصد الحاجية : وهي ما تدعو إليه حاجة الناس من غير أن تصل إلى حد الضرورة ، مثل رخصة قصر الصلاة وجمعها في السفر ؛ فهي تخفف عن المسافر المشقة ، وتدفع عنه الحرج ، ومثل إباحة الطلاق دفعا لمشقة تحمل الزوجة الحمقاء ، ومثل ضرب الدية على العاقلة في قتل الخطأ لدفع مشقة تحمل القاتل الدية وحده ؛ نظرا لوقوعه من غير قصد ، وإمكانه من كل أحد .

الثالث – المقاصد التحسينية : وهي ما لا يرجع إلى ضرورة ولا إلى حاجة ؛ ولكن يقع موقع التحسين والتوسع والتيسير ، متل وجوب التطهر من النجاسات الحسية والمعنوية ، وستر العورة ، وتحريم الإسراف والتقتير.

ج – مميزات الشريعة الإسلامية : –

١–أن الشريعة تعمل على بناء الحياة الإنسانية على المعروف ، وعلى تجنيب هذه الحياة من المنكر ، فهي لا تكتفي ببيان المعروف وتعديد أنواعه ؛ لكنها ترسم للإنسانية منهاج الحياة المتكامل على وجه ينمي فيها المكارم والفضائل ، ويبعث فيها روح الخير ، ويساعدها على النماء والرقي ، ويحبب إليها فعل الخير بكل صوره ، كما لا يكتفي بالنهي عن المنكر ، وبيان الرذائل ، وإنما توضح لها مضارها ، وتحذرها من اقترافها حتى يصير المجتمع فاضلا نظيفا .

٢–أن الشريعة جاءت شاملة لكل جوانب الحياة العملية ، فهي شاملة للعبادات والمعاملات وشؤون الحكم وشؤون الاقتصاد وشؤون المجتمع والأسرة وشؤون الحرب والعلاقات ، وكل هذه النواحي تناولتها الشريعة بالأمر والنهي ، وفصلتها على وجه يسهل العمل به ، وأكدت على العمل بهذه النواحي دون تجزئة ؛ لأنها وحدة واحدة .

٣–أن الشريعة بنيت على اليسر والسهولة ورفع الحرج ودفع المشقة ، قال تعالى : (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمْ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمْ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ)(١) وقال تعالى : (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا)(٢) ، وقال تعالى : (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ)(٣) ، وقال تعالى : (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)(٤) .

---

١ ( ) سورة الأعراف/ ١٥٧.

٢ ( ) سورة الطلاق/ ٧.

٣ ( ) سورة البقرة/ ١٨٥.

٤ ( ) سورة الحج/ ٨٧.

د – أهميتها : تتبين أهمية الشريعة للثقافة الإسلامية فيما يلي : –

١–أن الشريعة جاءت لبيان مصالح الإنسان في الدنيا والآخرة على سواء ؛ لذا تكون الكلمة العليا في تحديد المصالح والمفاسد للشرع، يقول محمد بن محمد : (عرفنا من أدلة الشرع أن الله تعالى ببعثه الرسل ، وبتمهيد بساط الشرع أراد صلاح أمر الخلق في دنيهم ودنياهم)[١].

٢–أن الشريعة منزهة عن التأثر بالأهواء البشرية والنزعات العاطفية ، فهي دقيقة في تقدير الحق ، وإقامة شؤون الحياة على العدل ، فهي تنزيل الحكيم العليم الذي يعلم أحوال عباده ، قال تعالى : (أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)[٢] فلا يعتري شرعه قصور ، ولا نقص كما قال تعالى : (لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى)[٣] .

٣–أن الشريعة تلبي حاجة البشرية في تنظيم شؤون حياتها ، وتفي بجميع مطالب هذه الحياة في كل عصر ومكان ، فهي لم تأت لقوم دون قوم أو لعصر دون عصر ؛ ولكنها قواعد كلية ثابتة مستقرة ، تسد حاجة البشرية على اختلاف القرون .

٤–أن الشريعة تنبثق من فكرة الحلال والحرام ، واستشعار المسؤولية والجزاء على العمل ، فهي تربي الضمير الإنساني ليكون رقيبا على عمل الجوارح ، وعمل القلب في السر والعلن ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس)[٤] .

هـ – صلة الثقافة الإسلامية بالشريعة : تستمد من الشريعة الأحكام التفصيلية لنظم الحياة المتعلقة بالأسرة والمجتمع والاقتصاد والحكم ، وتعتمد عليها في الرد على الشبهات المثارة حول هذه النظم ، وتستند عليها في تحديد مواقفها من إفرازات الحاضر الثقافي ومتغيراته .

( ) شفاء الغليل/ ١٣٠. ١

( ) سورة الملك / ١٤. ٢

( ) سورة طه/ ٥٢. ٣

( )ر واه مسلم ،كتاب البر والصلة والآداب ، باب تفسير البر والإثم .

المرتكز الثالث – الأخلاق :

أ – تعريفها ، لغة : الأخلاق جمع خلق (بضم اللام) ، وهو الدين والطبع والسجية ، وحقيقته أن الخلق اسم لصورة الإنسان الباطنة وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخَلْق (بسكون اللام) اسم لصورة الإنسان الظاهرة وأوصافها ومعانيها(1) .

واصطلاحا : الخُلُق (هيئة راسخة في النفس ، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية ؛ فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا ، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا) .

هذا التعريف يقتضي ما يلي :

١– أن مصدر الخلق النفس البشرية ؛ إما طبعا أو استعدادا ، ينمو بالعادة والمران .

٢–أن الخلق يتصف بالثبات والدوام والسهولة ، فهو هيئة راسخة في النفس ، لا يوصف به إلا من داوم عليه ، وصدر عنه بسهولة ويسر ؛ فمن اصطنع خلق الإحسان أو فعله عَرَضًا أو تكلف فعله لا يسمى محسنا .

٣–أن مستند الخلق الشرع والعقل ، فالحسن فيه ما يحمد شرعا وعقلا ، والقبيح ما يذم شرعا وعقلا ، ما كان حسنا فهو محل ثواب ، وما كان قبيحا فهو محل عقاب(2).

ب –ارتباط الأخلاق بالشرع :

ترتبط الأخلاق بالشرع ؛ وإن كانت تستند أيضا على العقل الذي يستطيع أن يميز به بين الحسن والسيء ، ويوضح هذا ما يلي : –

١–أن الأخلاق وإن كانت مما قد يعرف بالعقل والفطرة فإن أحكام الشريعة قد شملتها ، وارتبطت بالأمر الإلهي الذي يطالب به الإنسان امتثالا وامتناعا ؛ وإن دل عليها العقل والقلب ، وإلى هذا أشار ابن تيميه في قوله : (إن الله لم يأمر بأمر إلا وقد خلق سببه ومقتضيه في جبلة العبد ، وجعله محتاجا إليه ، وفيه صلاحه وكماله ، فإنه ... أمر بالعلم

( ) ابن منظور ، لسا نالعرب ١/ ١٢٤٥ ، والأصفهاني ، والراغب ، المفردات في غريب القرآ ن/ ١٥٨ .

( ) الحليبي ، أحمد بن عبد العزيز ، المسؤ ولية الخلقية والجزاء عليها/ ١٨ .

والصدق والعدل وصلة الأرحام وأداء الأمانة، وغير ذلك من الأمور التي في القلوب معرفتها ومحبتها ؛ ولهذا سميت معروفا ، ونهى عن الكفر الذي هو أصل الجهل والظلم ، وعن الكذب والظلم والبخل والجبن ، وغير ذلك من الأمور التي تنكرها القلوب)[1] .

٢-أن العقل دل على فعل المعروف واجتناب المنكر مع دلالة الشرع عليهما من قبيل تعاضد النقل والعقل ؛ إلا أن النقل فيها متقدم ومتبوع ، والعقل متأخر وتابع ؛ ذلك أن النقل هو الذي يحدد للمكلفين حدود أفعالهم واعتقاداتهم[2] ، فقد حدد النقل حدود الأخلاق ، وبين محاسنها ومساوئها .

٣-أن أحكام هذه الأخلاق لم تكن (على وزان واحد في كل فرد من أفرادها كالعدل والإحسان والوفاء بالعهد وأخذ العفو والإعراض عن الجاهل والصبر والشكر والمواساة لذوي القربى والفقراء والمساكين ..... والظلم والفحش وأكل مال اليتيم واتباع المضلة والإسراف والإقتتار والإثم والغفلة والاستكبار .....وما أشبه ذلك من الأمور التي وردت مطلقة)[3] ووكل معرفة قدرها إلى اجتهاد المكلف ونظره .

ذلك أن الأخلاق تختلف أحكامها على حسب حالها ، فمنها ما يكون من الفرائض ، أو النوافل في المأمورات ، ومنها ما يكون من المحرمات ، أو المكروهات في المنهيات ؛ بل يختلف حكم الخلق حسب الحال أيضا ، مثاله العدل ، أعلاه وآكده الإقرار بالنعم لصاحبها ، وردها إليه ، ثم شكره عليها ، ومقتضاه الدخول في الإيمان بالله والعمل بشرائع الله تعالى ، وهو أمر مجمل ، ويختلف ما دونه ، وهو العدل بين الناس ، فحكم العدل بين الخلق إن كان حاكما أعظم من العدل في أهله وولده ونفسه ، وهذا أعظم من عدله بين أعضائه في البدء بالميامن في لباس الثوب والنعل ونحوه[4]، وهكذا يختلف حكم الأخلاق الأخرى على حسب أحوالها.

( ) ابن قاسم ، مجموع الفتاوى لابن تيمية ، أصول الفقه ٠ / ١٢١ .

( ) الشاطبي ، الموافقات ١ / ٨٧ .

( ) الشاطبي ، الموافقات ٣ / ١٣٥ .

( ) الشاطبي ، الموافقات ٣ / ١٤٢ .

ج – مميزات هذا المرتكز : تتميز الأخلاق الإسلامية بعدة مميزات ، من أهمها :

١- أن الأخلاق شمولية ، ويتجلى طابع الشمول في النظام الأخلاقي الذي أوضحه القرآن في مجموع أوامره المتجهة إلى الإنسانية جمعاء ، بحيث إن القاعدة الواحدة ؛ ولتكن قاعدة العدالة أو الفضيلة عامة يجب على كل فرد أن يطبقها على نسق واحد ، سواء على نفسه ، أم على الآخرين[1] كما قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)[2] ، وعلى من يختلف معهم في الدين ، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)[3] هذه الشمولية اتصلت بكل جوانب الحياة الإنسانية ، فكان للفكر أخلاق ، وللقلب أخلاق ، وللسلوك الظاهر أخلاق ، ولتوضيح أحدها نبين أخلاق الفكر التي يقصد بها : تحري الحق بإنصاف وتجرد وحياد ، والصبر على التفكر والتدبر والبحث عن كل مفيد ونافع من العلوم والمعارف ، والبعد عن سفاسف الأفكار وتوابعها ، واجتناب كل الآراء التي تبعث على الحقد والضغينة والغضب ، وغير ذلك من جوانب أخلاق الفكر التي ترقى بالإنسان في سلم الكمال الأخلاقي .

٢- أن الأخلاق مرنة تتلاءم مع تفاوت الناس في طاقاتهم الأخلاقية وعزائمهم الفردية المتباينة ، فبعض النفوس ذات عزائم قوية ، فهي تحرص على أن يكون أداؤها للأخلاق من أعلا درجات الكمال الإنساني الممكن ، وأخرى دون ذلك في العزم على الامتثال ، وكلا العزيمتين تستوعبها الأوامر والنواهي الأخلاقية ، فالأولى تمثل درجات الإحسان ، وهو ما يعلو حد الواجب الخلقي بشرط عدم الإفراط ، وهو مرغب فيه لأنه يفتح أمام الناس بابا يؤدي إلى الارتفاع والسمو الإنساني في الجانب الخلقي ، والأخرى تمثل درجة العدل ، وهو

( ) دراز ، محمد عبد الله ، تحقيق عبد الصبور شاهين ، دستور الأخلاق في القرآ ن/ ٥٣ .

( ) سورة النساء/ ١٣٥ . ٢

( ) سورة المائدة/ ٨ . ٣

الحد الأدنى من الأداء الخلقي والواجب الذي لا يسمح للمكلف أنه يهبط دونه ، ومن فعل كان مخالفا الأوامر والنواهي[1].

٣- أن الأخلاق عملية وميسرة ، فهي تمس حياة الإنسان ؛ لذا كان إمكان التنفيذ شرطا في الإلزام الخلقي بهذه الفضائل التي لا يمكن أن تكون من قبيل المحال ، أو مما لا يمكن تحمله عادة لمشقته ، فالتكليف الخلقي جار وفق الوسع على وفق قول الله تعالى : (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا)[2]، وجار وفق المقدرة الذاتية ، فما كان شاقا يستنفذ قوى الإنسان ولو كان في طاقته غير مراد في الشريعة ؛ لقول الله تعالى : (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ)[3] ، وهذا يظهر طابع الرحمة في الأوامر والنواهي بما يتلاءم مع حال الإنسان وظروف الحياة التي قد تنتهي بالتخفيف إلى درجة نهائية[4] كما في قوله تعالى : (يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضْ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ)[5] ؛ ذلك أنه لما كان في تكليف الواحد بالصبر في ملاقاة العشرة مشقة نزلت آية تخفف الحكم بملاقاة الواحد للاثنين ، قال تعالى : (الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)[6] .

د – أهمية هذا المرتكز : العنصر الأخلاقي في علم الثقافة الإسلامية أصيل ، فكما أنه يقوم على أصول اعتقادية وتشريعية فإنه يقوم كذلك على أصول أخلاقية ذات أهمية بالغة في وضوح هذا العلم وحيويته وشموليته وتأثيره على الفرد والمجتمع ، وتتضح هذه الأهمية فيما يلي : –

( ) عبد العال ، حمدي، الأخلاق ومعيارها بين الوضعية والدين/ ١٢٨، ١٣٠.

( ) سورة البقرة/ ٢٨٦. ٢

( ) سورة البقرة/ ١٨٥. ٣

( ) دراز ، محمد عبد الله ، تحقيق عبد الصبور شاهين ، دستور الأخلاق في القرآن/ ٧٣ ٧٩.

( ) سورة الأنفال/ ٦٥. ٥

( ) سورة الأنفال/ ٦٦. ٦

١- أن الأخلاق تساهم في إعداد الفرد إعدادا يتم وفق تصور الإسلام ؛ بحيث يكون الفرد مؤهلا للقيام بالواجب الأخلاقي في الحياة والاضطلاع بوظيفة عمارة الأرض ؛ ذلك أن للأخلاق تأثيرا بليغا في سلوك الإنسان ، فحتى نصلح سلوك الإنسان ، وما يصدر عنه وجب أولا إصلاح خلقه وتهذيب نفسه .

٢-أن الأخلاق تؤدي إلى إصلاح المجتمع عن طريق إصلاح أخلاق أفراده فلا يمكن أن نبني مجتمعا قويا متماسكا من لبنات فاسدة خلقيا ، فتصور الإسلامي لرقي الأمم وانحطاطها مبني على قاعدة : أن الأمة ترتقي ما حسنت أخلاق أفرادها وتهذبت ، وتنتكس متى ساءت ، فالفرد هو حجر الزاوية في بناء المجتمع.

٣-أن الأخلاق تمنح الإنسان قدرة على تقويم سلوك الناس وأخلاقهم وتقدير أعمالهم وأهدافهم ، وتمكن المثقف من نقد الأعمال الخلقية التي تعترضه نقدا صحيحا بحيث يكون سالما من التأثر بالهوى والميول الشخصية ، مستندا على الحق والفضيلة ().

٤-أن الأخلاق أمر لا بد منه لدوام الحياة الاجتماعية وتقدمها من الناحية المادية والمعنوية ، يتضح هذا فيما لو افترضنا إهمال المبادئ الأخلاقية في مجتمع من المجتمعات ؛ فإن هذا الإهمال سيؤدي إلى سيادة الخيانة والفسق والكذب والغش والسرقة وسفك الدماء والتعدي على الحرمات والحقوق ، وزوال كل المعاني الإنسانية من العلاقات بين الناس كعلاقة المحبة والتعاون والتراحم ، فهل من الممكن أن تدوم الحياة الاجتماعية على هذه الحال؟ ، إنها ستتحول إلى جحيم لا يطاق ، وسيتحول الناس إلى وحوش ضارية ؛ لذا كان الإنسان في حاجة إلى نظام خلقي يحقق له خاصية اجتماعية ، ويقف أمام ميوله ونزعاته الشريرة ، ويوجهها إلى استخدام قواه في ميادين يعود نفعها على نفسه وعلى غيره بالخير().

٥- أن الأخلاق تحقق مقاصد الأوامر والنواهي التي ترمي إلى غرض واحد ، هو طهارة النفس من الرذائل وكمالها بالفضائل() ، يدل على هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

( ) عبد العال ، حمدي ، الأخلاق ومعيارها بين الوضعية والدين/ ٢٩ .

( ) يالجن ، المقداد ، الاتجاه الأخلاقي في الإسلام/ ١٠٢ .

( ) جاد المولى ، محمد أحمد ، الخلق الكامل ٨/ ٣.

(إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)(1 ؛ ذلك أن الإسلام في أوامره ونواهيه يسعى إلى تحقيق مصلحة الإنسان التي لا تحصل إلا بإقامة النفس على الفضيلة وسلوكه على الاستقامة ؛ لأن النفس والجوارح محل للمسؤولية والتكليف ، وبالتالي هي محل للخلافة ، يقول الراغب الأصفهاني : (لم يصلح لخلافة الله تعالى إلا من كان طاهر النفس ؛ لأن الخلافة هي الاقتداء به على قدر طاقة البشر في تحري الأفعال الإلهية ، ومن لم يكن طاهر النفس لم يكن طاهر القول والفعل)(2 .

٦-أن الأخلاق وراء ارتقاء الأمم حسيا ومعنويا الحسية أو انحطاطها.

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ذلك أن الأخلاق الفاضلة تمثل الأسس الثابتة التي تنعقد بها الروابط الاجتماعية بين الأفراد ، فمتى انعدمت هذه الأسس ، أو انكسرت في الأفراد لم تجد هذه الروابط الاجتماعية مكانا تنعقد عليه ، ومتى فقدت الروابط الاجتماعية صارت الشعوب المنحلة من هذه الروابط في ضياع ، ويتضح هذا بمثال خلق الصدق الذي تنعقد عليه الروابط الاجتماعية ؛ فإذا انعدمت هذه الفضيلة فقدت الثقة بين الناس ، وانقطع ما بينهم من روابط المودة والعهد ، وإذا انعدمت فضيلة الأمانة لم يجد الناس من يأتمنونه على أموالهم ، قال صلى الله عليه وسلم :" أول ما تفقدونه من دينكم الأمانة ، وآخر ما تفقدون الصلاة "(3، وهكذا بقية الأخلاق الإسلامية .

هـ – صلة الثقافة الإسلامية بالأخلاق : تستمد من الأخلاق القيم التي تنظر إليها على أنها معيار لتقويم المفاهيم والسلوكيات ، وتأخذ منها قواعد للنظم ، وتعتمد عليها في نقد التراث الفكري والعادات والتقاليد والموروثات البشرية ، وهي تستند عليها في إصلاح شأن الإنسان وإسعاده في الحياة والآخرة .

( )ر واه أحمد ، والبخار يفي الأدب المفرد ، صحيح الأدب المفرد للألباني رقم ٢٠٧.

( ) الأصفهاني ، الراغب ، تحقيق أبي اليزيد العجمي ، الذريعة إلى مكارم الشريعة/ ٩٦.

( ) ابن ابي شيبة في مصنفه ١٣/ ٥٢٩، رقم:(٣٠٨١٩) ، صححه الألباني في السلسلة الصحيحه برقم (١٧٣٩).

الانسجام التام بين هذه المرتكزات :

تعد هذه المرتكزات الأسس المتينة التي تقوم عليها الثقافة الإسلامية ، وهي وإن كان كل مرتكز منها يغذي جانبا من جوانب الإنسان ، ويسهم في تكوينه إلا أنها جميعا في حال من الانسجام والترابط بحيث تتظافر في بناء شخصية الإنسان المسلم ، فالشريعة ذات جذور خلقية في النفس البشرية ، وأصول اعتقادية تغذيها وتدعمها ، والأخلاق تقوم على نظرة إلى الوجود ، وقاعدة من الأحكام التشريعية ، وعقيدة كاملة صحيحة ، والعقيدة الصحيحة هي أهم ما تبنى عليه شخصية الإنسان ؛ فإذا صحت هذه العقيدة استقامت جوارحه ، وزكت أخلاقه .

الفصل الثاني

التصورات الأساسية (الحقائق الكبرى)

منذ أن وجد الإنسان وهو يحاول أن يجيب على أسئلة يثيرها عقله ، ويجهد نفسه في حلها ، وهي أسئلة طرحها كل إنسان قديما وحديثا ، ولا تكاد صيغتها تتغير ؛ إنما تتغير طريقة الإجابة عليها وحلها ، وأبرز هذه الأسئلة :

١- من أنا ؟ .

٢- من الذي أوجدني وخلقني ؟ وما الغاية من وجودي ؟ .

٣- ما حقيقة حياتي ؟ وما نهايتها ؟ .

٤- ما حقيقة علاقتي بهذا الكون من حولي ؟ .

أجابت الأديان على هذه الأسئلة بإجابة مقنعة ودقيقة وكاملة ، فأراحت الإنسان من عناء البحث للإجابة عليها ، ووجد الإنسان المهتدي الإجابة الشافية في الدين ، وتشعبت السبل بالإنسان الذي حاول أن يجيب عليها بمعزل عنه ؛ فلم يهتد إلى إجابة شافية ، تمنحه راحة في القلب ، واقتناعا في العقل ... فما إجابة الإسلام الذي ختم الله به الأديان على هذه الأسئلة؟.

إن كل سؤال من هذه الأسئلة يتناول حقيقة من الحقائق ، وهي : الإنسان ، الله ، الحياة ، الكون . فما تصور الإسلام لكل حقيقة من هذه الحقائق ؟ . إن هذا التصور ضرورة ؛ لأن الإنسان لا بد له من تفسير لما حوله ، وإن هذا التصور مختلف عن سائر التصورات الأخرى.

أولا – الإنسان :

هو الكائن الحي الذي خلقه الله بيده من تراب ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته إكراما له واحتراما() ، قال تعالى : (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا

( ) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٣ .

سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ . فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ . إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ)[1] .

وهو الذي خلقه الله على أحسن تقويم ، وأكرمه بالعقل ، وفضله على سائر خلقه ، واختصه بالتكليف والمسؤولية ، واستخلفه في الأرض لإعمارها بالخير والعمل الصالح ، قال تعالى : (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)[2] وقال تعالى : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)[3] ، وقال تعالى : (هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنْ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا)[4] .

وقد أودع الله في الإنسان ما يستطيع به إدراك الحقائق التي يراها الوجدان والعقل والحواس في الآفاق والأنفس[5] ، وفي كل شيء قال تعالى : (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)[6] وقال تعالى : (فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الأَبْصَارِ (٢)[7] ، وقال تعالى : (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[8] وقال تعالى : (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)[9].

خلق الله تعالى الإنسان مكونا من عناصر ثلاثة ، هي : الجسم والعقل والروح ، فالجسد هو أمشاج من اللحم والدم ، ترتبط به النوازع الفطرية التي لا تهدأ ، ولا تكف في المطالبة بحفظ حياة هذا الإنسان ، والمحافظة على نوعه وبقائه ، ووسيلة ذلك عن طريق الطعام

---

١ ( ) سورة ص/ ٧٢. ٧٤.

٢ ( ) سورة التين/ ٤ .

٣ ( ) سورة الإسراء/ ٧٠ .

٤ ( ) سورة هود/ ٦١ .

( ) عثمان، عبد الكريم ، معالم الثقافة الإسلامية/ ١٦ .

٦ ( ) سورة الشمس/ ٧ ١٠.

٧ ( ) سورة الحشر/ ٢ .

٨ ( ) سورة النحل/ ٧٨ .

٩ ( ) سورة فصلت/ ٥٣ .

والشراب والمسكن والنكاح والعلاج ، والإنسان يشارك فيها بقية الحيوانات والكائنات الحية الأخرى التي شابهت الإنسان في هذه النوازع ، كما قال تعالى : (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أمم أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)(١) .

والعقل هو قوة غرزية تنمو في الإنسان شيئا فشيئا ، يتمكن بها الإنسان من إدراك الأمور ومعرفة العواقب(٢) ، وهو يعاون النوازع الفطرية على الحصول على أفضل الطرق لتلبية حاجاتها ، والتغلب على العوائق التي تقف في سبيل تحقيقها ، ويعمل على الارتقاء بحياة الإنسان وتقدمها ، قال تعالى: (وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)(٣) .

والروح هو الطاقة اللطيفة غير المحسوسة التي يرجع إليها سر حياة الإنسان ، ويتم عن طريقها اتصال الإنسان بمن خلقه وأوجده ، فيستلهم منه ما يشبعها ، ويرتفع بها إلى درجة من السمو ، يجد فيه كرامته ومكانته بين تلك المخلوقات والكائنات .

يعترف الإسلام بكل رغبات هذه العناصر الثلاثة ، ويحققها له في توازن دقيق ، لا يطغى فيه عنصر على آخر ، فقد اعترف للإنسان برغبته في إشباع حاجاته الجسمية ؛ فأمره بالأكل والشرب واللبس من غير إسراف ولا مخيلة ، قال تعالى : (يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)(٤) ، وأمره بالنكاح ، قال تعالى : (فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا)(٥) ، وأقر للعقل برغبته في المعرفة ، فأمر بالقرآءة والتزود من المعرفة قال تعالى : (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ

( ) سورة الأنعام ٣٨. ١

( ) التهانوي، كشاف الفنون/١٠٣٤٢.

( ) سورة النحل/ ١٢. ٣

( ) سورة الأعراف/ ٣١. ٤

( ) سورة النساء/ ٣. ٥

. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)[1] ، وقال تعالى : (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا)[2].

ولم يتنكر الإسلام لحاجة الروح إلى الدين والاعتراف بالخالق ؛ لأنها حاجة فطرية خلق عليها الإنسان ، قال تعالى : (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)[3] ، وكان ذلك في توازن دقيق لا يوجد إلا في الإسلام ، فقد تنكرت النصرانية لحاجات الإنسان الجسمية بحجة الدعوة إلى التطهر الروحي ، فدعت إلى العزوبة والزهد في الطعام والشراب والطيبات ولبس الخشن ، وقد أنكر القرآن هذا المسلك في قوله تعالى : (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ)[4] ، وأهملت النصرانية العقل فأغرق الإنسان في الأوهام والخرافات ، وحُرِم من نور العلم .

وقد جعل الإسلام من غاية خلق الإنسان عبودية الله تعالى ، وهيأه لهذه العبودية بما أودع فيه من ميل إلى الإيمان ، يدفعه إلى الإقرار بربوبية الله وعبوديته ، ويشعره بضعفه وحاجته إلى معونته ورعايته ، هذه العبودية تتبعض مع بوادر إدراك الإنسان وتمييزه ، فيعتقد قبل أن يستخدم الأدلة العقلية بفطرته وجود الله تعالى ، ويزداد هذا الاعتقاد رسوخا مع إعمال العقل وتأمل نصوص النقل ، فيسمو بهذا المعتقد ، وتبنى شخصيته على التوحيد والاهتداء بأوامر الله واجتناب نواهيه .

ثانيا – الله تعالى :

الإنسان المخلوق لا بد له من خالق ، فمن خلق هذا الإنسان ؟ ومن أوجده من العدم ؟ أسئلة تطلب جوابا ، والخلق أو الإيجاد قضية من القضايا المصيرية الكبرى التي تقتضي تفسيرا وتوضيحا .

إن القرآن دفع الإنسان إلى التفكير في هذه القضية ، وإلى البحث عن هذه الحقيقة ؛ بل أثارها في صيغة استفهام ، وطرحها بكل وضوح وصراحة ، قال تعالى : (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ

---

١ ( ) سورة العلق/ ١ + ٥.

٢ ( ) سورة طه/ ١١٤.

٣ ( ) سورة الروم/ ٣٠.

٤ ( ) سورة الحديد/ ٢٧.

شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ)[1] ، وليست المسألة مقصورة على خلق الإنسان وحده ؛ فهو جزء من هذا الخلق العظيم المتنوع العناصر والأجزاء ، وإنما هي مسألة الخلق عموما التي طرحها القرآن في سياق شمولي ، قال تعالى : (أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لا يُوقِنُونَ)[2].

إن الخلق من أخص صفات الخالق ، وإن إثبات هذه الصفة لأحد يعني الإقرار بالربوبية والألوهية له ، وفي قصة نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام دليل على قِدَم البحث في هذه القضية ، وارتباطها بالألوهية ، قال تعالى : (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنْ الْمُوقِنِينَ . فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ . فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنْ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ . فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ . إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ)[3] .

إن إثارة السؤال حول الخلق والإيجاد والنشأة الأولى في قول الله تعالى : (أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ)[4] ، ولفت النظر إليهما في قول الله تعالى : (فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[5] يهدي إلى معرفة الحقيقة العظمى ، وهي الإيمان بالله الرب المعبود ذي الأسماء الحسنى والصفات العلى .

فهو الرب بما تحتوي عليه هذه الكلمة من معنى الملك والاستحقاق والسيادة والتدبير والإنعام والخلق والإيجاد ، له الربوبية على جميع الخلق[6]، لا يشاركه أحد في الإحياء والإماتة ، أو في تصريف الكون وتدبيره ، فهي من خصائصه وحده ، فالكل أمام هذه الربوبية عاجز ومنقطع ، قال تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ

---

١ ( ) سورة الطور/ ٣٥.

٢ ( ) سورة الطور/ ٣٦.

٣ ( ) سورة الأنعام/ ٧٦ ـ ٧٩.

٤ ( ) سورة النحل/ ١٧.

٥ ( ) سورة العنكبوت/ ٢٠.

( ) ابن منظور ، لسان العرب ٣/ ١٠٤٦.

إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنْ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنْ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)(١).

وحقيقة الإيمان بالربوبية بالله وحده هي حقيقة الإقرار بوجوده ، الثابتة بالأدلة الكونية وبالفطرة السليمة ، فالكون كله ينطق شاهدا بربوبية الله تعالى ، وأنه خالقه ومسخره ، قال تعالى : (إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)(٢) إن هذا واضح في أن (انتظام أمر العالم وإحكام أمره أدل دليل على أن مدبره إله واحد ، ملك واحد ، ورب واحد ، لا إله للخلق غيره ، ولا رب لهم سواه)(٣) فمن الممتنع عقلا أن يكون هذا الإبداع ، وهذا النظام في الخلق الذي لا يعرف اختلالا ولا اضطرابا عبر السنين والدهور من أرباب متعددة ؛ إذ هذا ظاهر البطلان ، ويرفضه العقل السليم ، وتنفر منه الفطرة النقية ؛ بل هو دليل على وحدانية الله تعالى ، وتفرده بالخلق والإيجاد (فلو كان معه إله آخر يشركه في ملكه لكان له خَلْق وفِعْل ، وحينئذ لا يرضى تلك الشركة ؛ بل إن قدر على قهر ذلك الشريك وتفرده بالملك والألوهية دونه فعل)(٤) ، قال تعالى : (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ)(٥) .

وهو المعبود المستحق للعبودية وحده ، فهو الذي خلق الإنسان ، وأنشأه من العدم ، فكيف يعبد مخلوقا مثله في أصل الخلق والإيجاد وضعف القدرة ، قال تعالى : (يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ فِرَاشًا

---

١ ( ) سورة البقرة/ ٢٥٨.

٢ ( ) سورة الأعراف/ ٥٤.

٣ ( ) ابن أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة الطحاوية/ ٢٧.

٤ ( ) ابن أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة الطحاوية/ ٢٦.

٥ ( ) سورة المؤمنون/ ٩١.

وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)(١) .

إن توحيد الله تعالى في عبوديته هو الغاية من وراء الإقرار بربوبيته سبحانه ؛ لأن الإقرار بالله ربا لا يعد مزية للإسلام وحده ، فمشركو العرب في الجاهلية كانوا مقرين بأن الله مستقل بخلق السماوات والأرض والشمس والقمر وتسخير الليل والنهار ، وأنه خالقهم ورازقهم ومقدر آجالهم(٢) ، قال تعالى : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّا يُؤْفَكُونَ)(٣) إن هذه العبودية تقتضي أن يخلص العبد عمله لله الذي خلقه وأنشأه دون أن يشرك معه فيه غيره .

وهو ذو الأسماء الحسنى والصفات العلى ، صفات الذات وصفات الأفعال التي تضمنتها أسماؤه بالاشتقاق ، مثل العلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها ، أو أخبر بها عن نفسه ، وأخبر بها عنه رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولم يشتق منها اسما مثل حبه للمؤمنين ، ورضاه عنهم ، وكراهته انبعاث المنافقين ، وسخطه على الكافرين ، وغضبه عليهم ، وغير ذلك مما هو ثابت بالكتاب والسنة(٤) ، قال تعالى: (وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)(٥)، وقال تعالى : (قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى)(٦). فهو سبحانه متصف بالكمال ، منزه عن النقص ، قال تعالى : (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)(٧) ، قال تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)(٨) .

( ) سورة البقرة/ ٢١- ٢٢. ١

( ) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٣/ ٤٢١.

( ) سورة العنكبوت/ ٦١. ٣

( ) الحكمي ، معارج القبول ٨٩٤/٨.

( ) سورة الأعراف/ ١٨٠. ٥

( ) سورة الإسراء/ ١١٠. ٦

( ) سورة الإخلاص/ ٣-٤. ٧

( ) سورة الشورى/ ١١ ٨

إن الإيمان بهذا التصور سيؤثر في تكوين شخصية الإنسان ، وفي حياته كلها ، وستكون حياته منسجمة متسقة مع الإيمان بالله الإله الواحد المعبود ذي الأسماء الحسنى والصفات العلى.

ثالثا – الحياة :

ليست الحياة في التصور الإسلامي الفترة القصيرة التي تمثل عمر الإنسان ، وليست الفترة التي تمثل عمر الأمة من الناس ، ولا عمر البشرية ، وإنما تمتد طولا من الزمن ، وتمتد عرضا في الآفاق ، وتمتد لتتجاوز الحياة في الدنيا إلى الحياة في الآخرة ، وتمتد في العوالم لتشمل الوجود المشهود إلى الوجود المغيب ، لا يعلم حقيقته كلها إلا الله (١) ؛ إنها حياة تختلف في التصور عن حياة غير المؤمن بالله الذي لا يتصور إلا الحياة الدنيا ، وما فيها من لعب ولهو ، كما قال تعالى : (وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ)(٢) ، و قال تعالى : (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ))(٣) .

بدأت هذه الحياة بإرادة الله تعالى ، ونشأت بقدرته ، كما قال تعالى : (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)(٤) ، وقد اتسعت لتشمل عوالم مختلفة من الأحياء الذين خلقهم الله على ظهر الأرض ، قال تعالى : (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أمم أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)(٥) ، وبدأت حياة الإنسان بخلق آدم من تراب ، قال تعالى : (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)(٦) ، وامتدت عن طريق التزاوج بين الذكر والأنثى ، قال تعالى

( ) ضميره ، عثمان جمعة ، التطور الإسلامي للكون والحياة والإنسان/ ٨ ، ٦٠.

( ) سورة الأنعام ٢٩. ٢

( ) سورة الأنعام ٣٢. ٣

( ) سورة يس/ ٨٢. ٤

( ) سورة الأنعام ٣٨. ٥

( ) سورة آل عمران ٥٩. ٦

: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً)[1] ، فهذا الطريق يؤدي إلى حياة ممتدة متمثلة في حياة الذرية .

لم يترك الإنسان ليعيش هذه الحياة وفق هواه وقد آمن بالله إلها ومعبودا ، وإنما أحيط بأوامر خالقه ونواهيه ليعيش على هداه ، ويحقق عبوديته وحده ، قال تعالى في شأن آدم وحواء : (قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)[2] ، وقال تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ)[3].

يتجاوز المؤمن ما في الحياة من متع قليلة وزخارف خادعة ونعيم زائل إلى حياة أسمى وأرفع من حياة الكافر بالله ، الذي لا تفترق حياته عن حياة الحيوان البهيم ، والذي يعيش ليأكل ويشرب ويشبع شهواته ، كما قال تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ)[4].

لا يعني هذا أن الإسلام يتنكر لزينة الحياة الدنيا ، ويحرم الانتفاع بها ؛ بل يقرر القرآن أنها مزينة للنفس الإنسانية ، كما قال تعالى : (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ)[5] وكونها مزينة لا يقتضي أن ينشغل بها لتكون غايته في الحياة ، يولّيها وجهه ، ويصرف لها جهده وطاقته ، فمتاعها قليل ، كما قال تعالى : (أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ)[6] فهو وإن حدثته نفسه بملذات الدنيا ، واستهوته زينتها فإن انتفاعه بها محدود بكفايته وحاجته دون

---

١ ( ) سورة النساء/ ١.

٢ ( ) سورة البقرة/ ٣٨.

٣ ( ) سورة الذاريات/ ٣٨.

٤ ( ) سورة محمد/ ١٢.

٥ ( ) سورة آل عمران/ ١٤.

٦ ( ) سورة التوبة/ ٣٨.

انهماك فيها يلهيه عن غايته العليا ، أو يشغله عن السير في أسبابها ، قال تعالى : (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا)[1] .

لم تخلق هذه الدنيا دارا للنعيم والتقلب في الملذات ، وإنما خلقها الله دارا للابتلاء والاختبار ، فينبغي على الإنسان أن لا يضع لحياته غاية يطمح إليها ، ويسعى وراء تحقيقها إلا أن تكون موصلة إلى الفوز في الدار الآخرة ، وليعلم أنه يختبر في جميع ما يعمله[2] إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، كما قال تعالى : (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً)[3] و قال تعالى : (وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً)[4] .

يقتضي هذا الاختبار والابتلاء من الإنسان الذي يتعرض له في الحياة الدنيا أن يتجه في سعيه وجهده وتفكيره وعمله إلى الخير والحق والبر ، وأن يتخذ من الحياة الأخروية ، وما فيها من ثواب وعقاب وازعا يزعه عن الشر والإثم ، وحافزا يدفعه إلى الخير والبر والعدل والحق[5] ، قال تعالى : (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)[6].

لقد أشار القرآن إلى ما في الدنيا من خيرات وطيبات ، وما منَّ الله به فيها على الإنسان من تسخير قوى الكون ، وما هيأه له فيها من رزق حلال واستمتاع بالحياة الدنيا وزينتها ، وما منحه فيها من قوى ومواهب جعلته في موضع الخطاب الإلهي والتكليف والاستخلاف ، إن هذا كله يدل على أن الله لم يرد أن تكون حياة الإنسان لهوا وعبثا ، وأن يعطل عقله عن التفكير ، وأن يشل يده عن العمل، قال تعالى : (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ)[7] ، وإنما أراد أن يكون لحياته هدف ومعنى ، وأن يكون الإنسان خليفة

( ) سورة القصص/ ٧٧. ١

( ) ضميره ، عثمان جمعة ، التطور الإسلامي للكون والحياة والإنسان/ ٦١.

( ) سورة الملك/ ٢. ٣

( ) سورة الأنبياء/ ٣٥. ٤

( ) وزه ، محمد عزه ، الدستور القراني في شؤون الحياة / ٢٥.

( ) سورة المائدة/ ٤٨. ٦

( ) سورة المؤمنون/ ١١٥. ٧

في الأرض ممتثلا بأمره ، قائما بعبادته ، آمنا في حياته، وقد وعده الله بالاستخلاف في الأرض في قوله تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا)(١) ، وينطوي هذا الاستخلاف على استغلال خيرات الأرض وقوى الكون ، واستمتاع بالطيبات ، وهذا من لازمه بذل الجهد في العمل والنشاط(٢) والانتفاع بكل ما في هذا الكون من نعم وسنن .

إن الإيمان بالله تعالى يمنح الإنسان تصورا عن الدنيا بديعا ، يتفق مع فطرته التي خلق عليها ، ويتسق مع فطرة الكون التي انتظم عليها ، فالدنيا في هذا التصور ليست شيئا يستحق النبذ والازدراء ، ولا شيئا يستحق الولع والافتتان بملذاتها وزخرفها ؛ بل هي حياة وسط بين هاتين الحياتين ، وعلاقته بها علاقة المسؤول عن استخدام مظاهرها والانتفاع بمتعها أمام الله تعالى ، قال تعالى : (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)(٣) ، لقد جعل الإيمان بالله لحياة الإنسان هدفا ساميا ، وجعل الإنسان مسؤولا عن إعمارها ونشر الخير والصلاح فيها .

رابعا – الكون :

هو المخلوق الذي لم يوجد نفسه ، ولم يوجد نتيجة تطورات أو تغيرات طبيعية فيه ، ولم يوجد صدفة ؛ وإنما خلقه الله ، وقصد إيجاده على هذا النحو(٤) من العظمة والسعة والدقة والإحكام (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)(٥) .

هذا المخلوق العظيم ذو الآفاق الواسعة ، والأنواع الكثيرة ، والأقسام المتعددة ، والحركة الدائبة ، والحوادث المتكررة ، والسنن المطردة – هو عالم الشهادة ، الذي يشهده الإنسان فيدركه بحواسه ، ويعرفه بعقله ، ويقف على سننه بفكره ، ويستثمره لمنافعه ، ويتمتع بما فيه

( ) سورة النور/ ٥٥ . ١

( ) د وزه ، محمد عزه ، الدستور القراني في شؤ ن الحياة / ٢٦ ٢٩.

( ) سورة يونس/ ١٤ . ٣

( ) عثما ن ، عبد الكريم ، معالم الثقافة الإسلامية/ ٢١ .

( ) سورة المؤمنو ن/ ١٤ . ٥

من نعم وطيبات وجمال وإبداع ، قد عني القرآن الكريم بذكر مشاهده ، وأشاد بدقته وانتظامه ، ودعا الإنسان إلى النظر فيه والتأمل في مكوناته ، والتفكر في مجرى حوادثه ، وجعل من هذا النظر والتأمل والتفكر طريقا إلى الإيمان بخالقه ومقدر سننه ، قال تعالى : (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)[1] .

إن التأمل في هذا الكون لا يعني مجرد النظر إليه بالعين المجردة ، أو لمسه بالحس القريب فحسب ؛ وإنما يقصد به كذلك التأمل فيه بالتفكير العلمي المنضبط الذي يوصل إلى معرفة سير أحداثه وسننه ، وإن تدبر كلمة : (يتفكرون)[2] أو (يعقلون)[3] الواردة في القرآن الكريم بعد استعراض أحداث الكون ومظاهره تدل دلالة واضحة على هذا المعنى[4] .

لقد ساق القرآن الكريم الآيات الكونية لتوقظ العقل الإنساني ، وتقوده إلى آفاق الهداية الإلهية عن طريق معرفة أسرار هذا الكون ، وليعرف عن طريقها عظمة الله تعالى وجلال كبريائه ، وليهتدي بها إلى ما وضع الله فيها من منافع العباد ومصالح الخلق ، ولتشعره بأن هذا الكون بجميع عناصره مسخر له ، فعليه أن يعرف حقيقة هذه العناصر ، ويبذل في سبيل هذه المعرفة أقصى طاقته وإمكاناته ، ويستخلص منها أكبر قدر من المنافع المادية التي يحيا بها حياة كريمة طيبة[5].

إن هذا الكون على عظمته خلق مسخرا للإنسان ؛ لينتفع بما فيه من عناصر الحياة ومظاهر النعم ، وجعل الله هذا الكون خاضعا لسنن لا يمكنه الخروج عنها ، أو الانفلات منها ، فقد شاءت إرادة الله تعالى أن يجري هذا الكون بكل أجزائه وعناصره وفق هذه السنن

( ) سورة البقرة/ ١٦٤. ١

( ) سورة آل عمران/ ١٩١. ٢

( ) سورة البقرة/ ١٦٤. ٣

( ) عثمان، عبد الكريم ، معالم الثقافة الإسلامية/ ٢٤.

( ) عرجون، محمد صادق ، نحو منهج لتفسير القرآن/ ٤٨ ٤٦.

المطردة ، فلا يصح للإنسان أن يرد الأمر في هذا الكون إلا لله ، وأن لا يغتر بما وصل إليه من علم أو كشف() .

إن تصور الإسلام للكون فريد ومتميز من عدة أمور :

الأمر الأول – إنه تصور خال من الخرافات والأساطير ؛ لأنه أظهر الكون في معالم موضوعية يدركها الإنسان بحواسه ، أو يعقلها ، أو بهما معا ، منفصلة عن الحوادث والمخلوقات الغيبية ، فكان لهذا التصور أثره في القفز بالفكر العلمي إلى آفاق من التقدم في العلوم والحضارة والإبداع ، وفي الاعتماد على التجريب طريقا إلى معرفة الطبيعة بدلا من طريقة التأمل الذهني المعروفة عند اليونان .

الأمر الثاني – إنه تصور حارب محاربة عنيفة كل أنواع الوثنيات التي أَلَّهت الكون أو أي جزء من أجزائه من الحجر إلى البشر ، ومن الحيوان إلى الكواكب ، فكان لهذا التصور أثره في تحرير عقل الإنسان ، وإطلاق فعاليته التي كانت مغلولة أمام ما يقدسه .

الأمر الثالث – إنه تصور ألقى تقديس الكون حينما نظر إليه على أنه مخلوق مسخر ومذلل للإنسان ، الذي هيأه للانتفاع به واستثماره ، فكان لهذا التصور أثر في تغيير مجرى الحضارة ، وخروج بها من تعطيل طاقات الإنسان وانحطاطه إلى تنشيطه ورفع مستواه ، ودفعه إلى العمل والتعرف على ما فيه من أسرار وقوانين وإمكانات ونعم ، وتوظيفها لمصلحته ، وعمارة هذا الكون الذي استخلف فيه .

( ) عثمان، عبد الكريم ، معالم الثقافة الإسلامية/ ٢٢ .

واقعية الثقافة الإسلامية في نظرتها للثقافات الأخرى :

على الرغم من كون الثقافة الإسلامية تمثل هوية الأمة الإسلامية ، وتضطلع بوظيفة حمايتها من التلاشي أو الذوبان في غيرها ؛ إلا أنها واقعية في نظرتها إلى الثقافات ، وهذا يعود إلى :

- كونها تؤمن بأن الثقافات متولدة عن سنة الاختلاف بين بني البشر كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾(1) إذ الاختلاف والتغيير سنة من سنن الله تعالى في المجتمعات ، يقول ابن خلدون : (وأحوال الأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على حال واحدة ، وإنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة ، وانتقال من حال إلى حال ، وكما يكون ذلك في الأشخاص يكون في الأوقات والأمصار ؛ فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول)(2) ومادام الأمر كذلك فلا بد إذا من استصحاب هذه الحقيقة الواقعية ومراعاتها في مجال التعامل مع الثقافات الأخرى .
- كونها ثقافة إنسانية تحترم الإنسان وتكرمه ، وتحتفل بالمثل والعليا والوحدة الإنسانية ، وتعنى بالاتصال بالشعوب ومحاورتها على أساس من العلم والحق ، وتهتم بمخاطبة الثقافات الأخرى على أساس من الاحترام المتبادل ، كما أنها تشاركها في حماية القيم وإرساء المبادئ الإنسانية ، فهي ثقافة ذات نزعة إنسانية واضحة في كل جانب من جوانبها ، ولا أدل على ذلك من مكاتبة الرسول صلى الله عليه وسلم لملوك وأمراء عصره ، وحضوره حلف الفضول لنصرة المظلومين ، فقد روي عنه أنه قال : (لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت)(3) أي لو دعي إليه من غير المسلمين لأجاب مادام محققا للعدل والإنصاف لبني الإنسان ، وهي ثقافة تستند على

---

(1) سورة هود/ ١١٨ ـ ١١٩.

(2) ابن خلدون ، عبد الرحمن ، المقدمة / ٢٩.

(3) السهيلي ، الروض الأنف ١/ ١٥٥.

الشريعة التي ترعى القيم والمثل العليا كما قال ابن القيم : (إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد ، وهي عدل كلها ، ورحمة كلها ، ومصالح كلها ، وحكمة كلها ، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور ، وعن الرحمة إلى ضدها ، وعن المصلحة إلى المفسدة ، وعن الحكمة إلى العبث ـ فليست من الشريعة وإن دخلت فيها بالتأويل ؛ فالشريعة عدل الله بين عباده ، ورحمته بين خلقه)[1] .

- كونها تسعى إلى وحدة بني البشر مهما اختلفت أعراقهم ولغاتهم ، أو تنآءت أوطانهم على الحق والكرامة الإنسانية ، وكانت الوحدة في العقيدة من أبرز مظاهر الوحدة التي طبعت كل الأسس والنظم التي جاءت بها الحضارة الإسلامية (فهناك الوحدة في الرسالة ، والوحدة في التشريع ، والوحدة في الأهداف ، والوحدة في الكيان الإنساني العام ، والوحدة في وسائل المعيشة وطراز التفكير ؛ حتى إن الباحثين في الفنون الإسلامية قد لحظوا وحدة الأسلوب والذوق بأنواعها المختلفة : فقطعة من العاج الأندلسي وأخرى من النسيج المصري ، وثالثة من الخزف الشامي ، ورابعة من المعادن الإيرانية تبدو رغم تنوعها وزخرفتها ذات أسلوب واحد ، وطابع واحد – فلا عجب في أن تكون الثقافة الإسلامية من بين الثقافات – إنسانية النزعة والهدف ، عالمية الأفق والرسالة ، فالقرآن أعلن وحدة النوع الإنساني رغم تنوع أعراقه ومنابته ومواطنه في قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾[2] أعلن هذه الوحدة الإنسانية العالمية على صعيد الحق والخير والكرامة ، وجعل حضارته عقدا تنتظم فيه جميع عبقريات الشعوب والأمم التي خفقت فوقها رايات الفتوحات الإسلامية ؛ ولذلك كانت كل حضارة تستطيع أن تفاخر بالعباقرة من أبناء جنس واحد وأمة واحدة ؛ إلا الحضارة الإسلامية فإنها تفاخر بالعباقرة الذين أقاموا وحدتها من جميع الأمم والشعوب.

إذا كان المعنى الإنساني واضحا في الثقافة الإسلامية فإن الثقافات عامة تعاني من فقدان هذا المعنى ، مما حمل الباحث الأمريكي (ريتشارد ماك كوين) مستشار وفد الولايات

---

(1) ابن القيم ، إعلام الموقعين ٣/ ١ .

(2) سورة الحجرات/ ١٣.

المتحدة في الدورات الأولى والثانية والثالثة للمؤتمر العام لليونسكو (على الدعوة إلى إنشاء نظام إيجابي عالمي يلبي مطامح الشعوب ، مشيرا إلى أن على هذا النظام أن يعدل طبائع الشعوب وأوضاعها وعاداتها ، مستندا في ذلك إلى المكتسبات العقلية والخلقية ومبتكرات الأفراد في الإطار العالمي طبعا في ميدان الفكر والعمل والتعبير) وفي هذا السياق صدر عن مجموعة الخبراء المجتمعين بدعوة من اليونسكو لدراسة المشكلات الناشئة عن الاتصالات والعلاقات بين الحضارات في العالم ـ بيان ، جاء في ختامه ما يلي : (إن مشكلة التفاهم الدولي هي مشكلة علاقات بين الثقافات ؛ فمن هذه العلاقات بين الثقافات يجب أن ينبثق مجتمع عالمي جديد قوامه التفاهم والاحترام المتبادل ، وهذا المجتمع يجب أن يأخذ صورة نزعة إنسانية جديدة يتحقق فيها الشمول بالاعتراف بقيم مشتركة تحت شعار تنوع الثقافات)(1).

موقف الثقافة الإسلامية من الثقافات الأخرى:

تختلف الثقافة الإسلامية عن غيرها في موقفها من الثقافات الأخرى ؛ فقد اعترفت بثقافات الأديان التي كانت موجودة في داخل الوطن الإسلامي ، ومنحت أصحابها حرية الممارسة ، واحترمت مقدساتهم ومصادرهم الدينية والفكرية ، فقد أقر الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة وتأسيسه لدعائم الدولة الإسلامية ـ لليهود الذين كانوا يعيشون في المدينة حقهم في ممارسة دينهم ، ففي المعاهدة التي عقدها الرسول صلى الله عليه وسلم بين أهل يثرب من المسلمين واليهود ، والتي تعد أول دستور مكتوب للدولة الإسلامية التنصيص على أن (لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم)(2) ، كما أن العهد الذي كتبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهل إيلياء دليل على أن إقرار الإسلام للأديان الأخرى ، واحترام معتقداتها ، وما ينشأ عنها من قيم ومبادئ – موقف ثابت في تاريخ المسلمين ، فكان مما جاء في عهد عمر رضي الله عنه : (هذا ما

---

(1) مجموعة من الكتاب العالميين ، أصالة الثقافات وورها في التفاهم الدولي، تحت عنوان إنسانية الغد وتنوع الثقافات/ ٢٣ ٤.

( ) ابن هشام ، أبو محمد بن عبد الملك ، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، تحقيق عبد الحميد ، محمد محيي الدين ٢/ ١ ٢ ١ .

أعطى عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أمانا لأنفسهم ولكنائسهم وصلبانهم .. لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقض منها ولا من حيزها ، ولا من صلبهم لا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم)[1] ، وحاور المسلمون أتباع هذه الأديان بالتي هي أحسن دون إكراه يحمل أحدا على الانسلاخ من ثقافته أو مصادرة آرائه ؛ وإنما حوار منفتح ومقنع على أساس ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١ ﴾[2] يمكن الأمة من القيام بواجب الشهادة على الناس التي جعلها الله وظيفة من وظائفها في علاقتها بغيرها وتواصلها مع الآخرين ، قال تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣ ﴾[3].

إن الثقافة الإسلامية تمتلك خطابا وسطيا بعيدا عن الغلو والتفريط والتنفير في الأسلوب والمضمون ، تستمده من وصايا الرسول صلى الله عليه لمعاذ وأبي موسى رضي الله عنهما لما بعثهما إلى أهل اليمن وكانوا أهل كتاب : (يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا)[4] ، وتسعى أيضا إلى تأليف القلوب والابتعاد عن كل ما يؤجج مشاعر العداء لدى الآخر ، والعمل على تضييق دائرة الخلاف معه تجنبا لكل ما يؤدي إلى القطيعة والسباب ، ففي الحديث عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، قالت : أتتني أمي راغبة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم . فسألت النبي صلى الله عليه وسلم أأصلها ؟ قال : نعم . قال ابن عيينة :

---

(1) الطبري، ابن جرير ، تاريخ الأمم والملوك ٤/ ١٥٨.

(2) سورة البقرة/ ١١١.

(3) سورة البقرة/ ١٤٣.

(4) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ رضي الله عنهما إلى اليمن قبل حجة الوادع ، ٥/ ١٠٧.

فـأنزل الله عـز وجـل فيهـا :﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾(1) ،

وقـال تعـالى ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾(2) قـال القرطبي في تفسير الآية : (... نهى سبحانه المؤمنين أن يسبوا أوثانهم ؛ لأنه علم إذا سبوها نفر الكفار ، وازدادوا كفرا)(3) ، كما ترعى الثقافة الإسلامية في تعاملها مع الآخرين منهج العدل والإنصاف في جميع الأحوال، عملا بأمر الله تعالى للمؤمنين :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾(4).

موقف الثقافة الغربية من ثقافتنا :

قد يكون من الطبيعي جدا أن نخص الثقافة الغربية من بين الثقافات الأخرى لسبب واحد ، هو أن الثقافات الأخرى إما إنها انحسرت أو ذابت كالثقافة الفارسية ، أو أنها ثقافة محلية وأقليمية كالثقافة الهندوسية والصينية لا تتبنى فرض ثقافتها على غيرها ؛ بل أنها تعايشت مع الثقافة الإسلامية ، وتأثرت بها ؛ خلافا للثقافة الغربية التي وقفت ندا للثقافة الإسلامية ، وعملت طيلة قرون على نشر فكرها في المجتمعات الإسلامية ، واستعملت في سبيل تحقيق ذلك كل ما أوتيت من وسائل سلمية وعسكرية .

إنه لا يمكن أن نتجاهل الماضي وتاريخ علاقات الثقافتين الإسلامية والغربية ، كما لا يمكن أن نتغافل عن تأثير مكونات الثقافتين في ترسيخ جوانب الاختلاف بينهما ، وحرص كل ثقافة على الانفراد بمقوماتها ومفاهيمها وتصوراتها ومواقفها ، ولا ريب أن الثقافة الغربية هي

---

(1) سورة الممتحنة/ ٨.

(2) سورة الأنعام/ ١٠٨.

(3) الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٦١.

(4) سورة المائدة/ ٨.

نتاج لموروث متراكم ، يتكون من تعاليم الديانة النصرانية وفلسفة اليونان وحضارة الرومان ومعطيات الاتجاهات العقلية والنفعية والاجتماعية والاقتصادية الحديثة .

كما ينبغي الاستحضار ذهنيا أن الثقافة الغربية اتخذت موقفا متعاليا يقوم على أساس أن هناك اختلافا جذريا في الوجود والمعرفة بين الغرب والشرق الإسلامي ، وأن الأول يتميز بالتفوق العنصري والثقافي على الثاني ، وقد ظهر هذا الموقف بشكل واضح وجلي نظريا في كتابات المستشرقين وتقاريرهم التي كانت تستهدف زحزحة المسلم عن دينه إلى أي شيء آخر ؛ كأن يصبح علمانيا ، أو تقدميا ، أو من أنصار التغريب والحداثة ، أو من دعاة التقارب بين الأديان(1) ، وظهر عمليا فترة استعمار الحكومات الغربية للبلاد الإسلامية التي كانت تعمل على تغيير نمط الحياة بقوة السلطة ؛ بحيث يكون متوافقا مع نمط الحياة الغربية شكلا ومضمونا دون اكتراث بثقافة المجتمع الإسلامي ، وموروثه العلمي والحضاري ، ولا تزال سياسات التغيير مستمرة حتى بعد استقلال البلاد الإسلامية وإلى الآن بوسائل مؤثرة ، عن طريق وسائل الإعلام والاتفاقيات الدولية والنفوذ السياسي والاقتصادي والتقني والعسكري .

ولعل نظرية البروفيسور صموئيل هنتجتون (صدام الحضارات) التي سيقت في أسلوب من الإثارة الإعلامية ، والتحفيز على التخويف من المسلمين وكراهيتهم عبر تقديم صورة سلبية عن الإسلام باعتباره دينا دمويا عنيفا ، يشجع على الإرهاب وعدم التعايش والاندماج مع الشعوب الأخرى(2) . لعلها تعطي مثالا لهذا الموقف ؛ فنظرية هنتجتون (لا تنم عن جهل بالإسلام ومبادئه ؛ لكنها سياسة مقصودة ، تهدف إلى إشاعة الرعب من الإسلام في الغرب ، وتقديمه في صورة الدين المهدد للمسيحية واليهودية ، وتقديم حضارته في صورة الحضارة المهددة للحضارة الغربية ، وهي استمرار لنفس السياسة الاستشراقية القديمة التي قدمت الإسلام والمسلمين في صورة هجمة بربرية ، تزرع الخوف والفزع في نفوس الجمهور الغربي ، وتحفزه على مواجهة الإسلام كعدو لليهودية والمسيحية وللحضارة الغربية . وقد استغل

( ) غراب ، أحمد عبد الحميد ،١رؤية إسلامية للاستشراق/ ٥ ، ٣ ٥ .

( ) سلع ي ، محمد ، صدام الحضارات ، عرض نق ي ، مجلة المستقبل العربي ، العدد٤ ٤ ٢، المجلد/ ٦ عام ١٩٩٩م ص/ ٣ ٧ ١ .

مروجو هذه الفرية بعد سقوط الشيوعية لكي يَصِفُوا الإسلام بأنه العدو الوحيد الذي يجب أن يتوجه إليه اهتمام الغرب ، لا يمكن أن تفهم حسب رأي الأستاذ محمد سعدي صدور هذه النظرية من قبل هنتجتون ، وهو مفكر أكاديمي كبير وتداعياتها إلا أنها مثال واضح للموقف الغربي . فالمسألة ليست مسألة جهل بالإسلام ، وبالمنجز الإسلامي في تاريخ الحضارة الإنسانية ، ولا بالفضل الإسلامي على الحضارة الغربية ذاتها ، فالمعرفة بالإسلام متاحة بشكل أفضل مما قبل ، والاتصال بالمسلمين أصبح أمرا ميسورا ، وواضع هذه النظرية عالم ومفكر أكاديمي لن يعدم وسيلة الحصول على معلومات سليمة عن الإسلام وحضارته ؛ لكن المسألة في الحقيقة مسألة سياسية مرتبطة باستراتيجية العالم الغربي تجاه الإسلام وشعوبه)(1).

التفاهم والتعايش مع الثقافة الغربية :

تأخذ الثقافة الإسلامية بمبدأ التفاهم مع الثقافات الأخرى والاحترام المتبادل بينها ؛ إيمانا منها بإن توخي النزاهة والموضوعية والاحترام في قضايا الاختلاف والتعدد الثقافي والتمايز الحضاري والنظرة العادلة إلى كل الثقافات التي (تعطي كل ذي حق حقه) – سيعزز مستقبل الإنسانية بالوئام والتعايش الممكن ؛ بدلا من التنافس والصدام المهلك للشعوب المكرس للكراهية بينها(2) ، وسيتيح مجالا رحبا للحوار بين الشعوب ، وسيمنح الآراء الصائبة الظرف المناسب لإقناع الآخرين والانتفاع بها دون حاجة إلى إكراههم على قبولها ، ومن ثم سيجعل ثقافتها ظاهرة على الثقافات الأخرى ، ذلك أن الثقافة الأقوى هي التي تمتلك العلم والحق والإقناع ، ولا تخشى على نفسها من السقوط أو الانهزام .

إلا أنها في الوقت نفسه لا تأخذ بفكرة التعايش مع الثقافات التي تستهدف كسر الحواجز المانعة من تأثيرها لغرض إحلال ثقافتها مكانها وتوطينها(3) ؛ لكنها لا تمانع من تفاعل الثقافات وتقاربها في الجوانب العلمية والتطبيقية والحضارية على أن يكون ذلك مبنيا على الاحترام المتبادل في جو سلمي بعيد عن الروح العدائية والتعصب ضد الثقافات الأخرى ،

( ) حافظ ، كا ي ، الإسلام والغرب ، ترجمة صلاح محجوب إدريس / ٥، مكتبة الأسرة بمصر عام٢٠٠٥م

(2) العلي ن، عبد الله ، مرجع سابق/ ٢٣.

(3) الطريقي ، عبد الله ، الثقافة والعالم الآخر ، الأصول والضوابط/ ٢٤.

وعن احتكار المعلومات والتقنيات الحديثة وتوظيفها في سياق من أجل هيمنة ثقافة على أخرى .

ذلك أن محافظة كل أمة على ثقافتها لا ينافي قبول تعددية الثقافات ، وإن رفض التعايش الثقافي المؤدي إلى إلغاء الهوية الثقافية لكل أمة لا يعني الأخذ بأحادية الثقافة ؛ وإنما الأحادية الخطيرة تكمن في سلوك منهج إلغاء الثقافات الأخرى وإنكارها ، وفرض ثقافة معينة عليها ، هذا المنهج مارسته الثقافة الغربية ضد الثقافات الأخرى ؛ فقد ميزت بين الشعوب ، وألبت المذهبيات والأديان بعضها على بعض ، كما مارست هذا المنهج مع الثقافة الإسلامية بشكل خاص فترة الاستعمار ؛ حيث نقلت الدول الاستعمارية أنظمتها السياسية والاقتصادية ومذاهبها الفكرية والاجتماعية إلى الوطن الإسلامي ، وفرضتها على الشعوب الإسلامية على سبيل القسر والإلزام ، واستخدمت ما أوتيت من قوة لتغيير هوية الأمة الإسلامية وتغريبها ؛ غير عابئة بتاريخها ومصادرها ومدارسها الفكرية ، وخصوصيات مجتمعاتها وعقيدتهم وقيمهم ومبادئهم ، ولا يزال هذا المنهج مسيطرا على الثقافة الغربية على الرغم مما يعرف عنها من أنها ديمقراطية في منهجها عقلانية في تفكيرها وتعاملها ، تؤمن بالتعددية والاختلاف والتنوع بين الحضارات الإنسانية ؛ ولعل الواقع الحالي المتجه نحو فرض الثقافة الغربية عن طريق العولمة أكبر شاهد على ذلك ، وهو ما يمكن رصده في السياسة الغربية الحالية التي تعمل على المحافظة على عقلية التمركز الغربي وإقصاء الآخر ، ولعل عقدة التخوف من (الانتقام مما فعلته الحضارة الغربية بالحضارات والثقافات التي أخضعتها لهيمنتها ، وهي ما اعترف بها البروفيسور صموئيل هنتجتون عندما قال : ابتداء من سنة ١٥٠٠م بدأ التوسع الضخم للغرب مع جميع الحضارات الأخرى ، وقد تمكن الغرب أثناء ذلك من الهيمنة على أغلب الحضارات وإخضاعها لسلطته الاستعمارية ، وفي بعض الحالات دمر الغرب تلك الحضارات)(١) المتعايشة فيما بينها دون أن تعتدي أي منها على خصوصيات الثقافة الغربية ، فلعل هذه العقدة – عقدة الانتقام – هي التي دفعتها على الاستمرار في هذا المنهج المتطرف أحادي الثقافة إلى الآن .

---

(١) العلي ان ، عبد الله ، مقالة : من صراع الحضارات إلى تعايشها ، مجلة العربي العدد/ ٥٣٢ مارس ٢٠٠٣م / ٢١.

الباب الخامس

التحديات التي تواجه الثقافة الإسلامية

مدخل :

واجهت الثقافة الإسلامية منذ القرن التاسع عشر الميلادي ، ولا تزال تحديات كثيرة ، من أعظمها خطرا الغزو الثقافي الغربي (وقد كان الخطر على الثقافة الإسلامية من هذا الغزو كامنا أولا في طبيعة الثقافة الغربية ، واختلافها في معظم مبادئها عن الثقافة الإسلامية ، وقد كانت السلطات الاستعمارية في فترة استعمار الغرب لغالب العالم الإسلامي – تشرف على بث هذه الثقافة عن طريق المدارس وشتى وسائل الدعاية من كتب ومجلات وإذاعات ، وفتح الأبواب أمام الذين – تأثروا – بهذه الثقافة من المسلمين ، وإغلاقها أمام الذين أرادوا المحافظة على شيء من تقاليدهم وشخصيتهم ، ولقد كان في نشر الثقافة الغربية حرب بالذات على الفكر الإسلامي)() ، فقد تحولت هذه الحرب إلى صراع غير متكافئ في داخل العالم الإسلامي بين الأفكار والقيم الإسلامية الأصيلة ، والأفكار والقيم الغربية الدخيلة ، ذلك أن الوسائل والأساليب والقوى التي اعتمدت عليها الثقافة الغربية أقوى وأكثر منها في جانب الثقافة الإسلامية ؛ لذا كان تأثير الثقافة الغربية الحديثة في المجتمعات الإسلامية قويا وعميقا ؛ ولعل ذلك يرجع إلى حالة الضعف والجهل التي أصابت العالم الإسلامي في هذه الفترة .

وكان من أعظم وسائل الثقافة الغربية تأثيرا في المجتمعات الإسلامية الاستشراق والتنصير والاستعمار ، ومن أظهر أساليبها في الوقت الحاضر الحداثة والعولمة ، ولتتضح حقيقة التحدي الذي تواجهه الثقافة الإسلامية منذ أمد طويل نعرض هذه الوسائل والأساليب عرضا يبرز حقيقة هذا التحدي .

( ) عليا ن، شوكت محمد ، الثقافة الإسلامية وتحديات العصر/ ٣٣.

الفصل الأول

الاستشراق والتبشير والاستعمار

١ ـ الاستشراق :

أ ـ تعريفه : هو تعلم علوم الشرق .

يرى المستشرق (ميكائيل أنجلو جويدي) أن المستشرق الجدير بهذا اللقب هو الذي لا يقتصر على معرفة بعض اللغات التي تتحدث بها الأمم الشرقية ، وإدراك عاداتها فحسب ؛ بل مع ذلك الوقوف على القوى الروحية والفكرية والأدبية التي أثرت في الثقافة الإنسانية().

ب ـ تاريخ الاستشراق :

لا يمكن تحديد اسم أول غربي اعتنى بالدراسات الشرقية ، ولا في أي وقت ؛ ولكن المتوقع أن رجال الكنيسة في أوروبا هم أول من قصد البلاد الشرقية ، ولاسيما الأندلس إبان ازدهارها لدراسة العلوم الإسلامية وترجمة القرآن الكريم والعلوم الأخرى ، وبخاصة الفلسفة والطب والرياضيات ، ومن أوائل هؤلاء الراهب الفرنسي (جربرت) الذي انتخب بابا لكنيسة روما عام ٩٩٩م بعد عودته من الأندلس ، وبطرس المحترم (١٠٩٢ ـ ١١٥٦م) ، وجيراردي كريمون (١١١٤ـ ١١٨٧م) .

تلك كانت البداية ، إلا أن المؤرخين يكادون يجمعون على أن الاستشراق انتشر في أوروبا بصفة نشطة بعد فترة عهد الإصلاح الديني ، على يد (مارتن لوثر) عام ١٥٤٣م ، كما يشهد بذلك التاريخ في هولندا والدانمارك .

جـ ـ مراحل الاستشراق :

لقد مرَّ الاستشراق بثلاثة مراحل ، هي على النحو التالي :

المرحلة الأولى : مرحلة استكشاف كنه الإسلام وأسباب انتشاره ، وحقيقة الفاتحين المسلمين وسر قوتهم العسكرية ، وتعد هذه المرحلة مرحلة موضوعية تبحث عن الحقيقة .

( ) جريشة ، علي ، الاتجاهات١الفكرية المعاصرة / ١٧ .

المرحلة الثانية : مرحلة مشوبة بالعدوان ، تبحث عن العيوب والنقائص في العلوم الإسلامية وبُنية المجتمع ، وتوجّه الصليبيين ضد مصالح المسلمين ، وتعمل على إثارة الشّبه حول قضايا الإسلام لإضعاف القناعة به .

المرحلة الثالثة : مرحلة العدوان السافر ، وقد ظهرت بعد فشل الحملات الصليبية التي كان آخرها الحملة الثامنة بقيادة لويس التاسع الذي لفت أنظار الغرب بعد أسره في المنصورة بمصر إلى الغزو الفكري ، حين قال : (لا سبيل إلى النصر والتغلب على المسلمين عن طريق القوة الحربية ، لأن تديّنهم بالإسلام يدفعهم للمقاومة والجهاد وبذل النفس في سبيل الله لحماية دار الإسلام وصون الحرمات والأعراض ، وأنه لابد من سبيل آخر وهو تحويل الفكر الإسلامي وترويض المسلمين عن طريق الغزو الفكري)([1]) .

فكانت منعطفاً في تاريخ الاستشراق ، حوّلته إلى حرب العقيدة والفكر عن طريق التأليف والمؤتمرات والمجلات ووسائل النشر .

د . أهداف الاستشراق :

الهدف الأول . هدف علمي (هدف موضوعي) : أقبل نفر قليل من المستشرقين بهدف الإطلاع على حضارات الأمم وثقافاتها ولغاتها ودراستها دراسة موضوعية وجادة رغبة في الوصول إلى الحقيقة العلمية ، وقد كانوا أقل من غيرهم خطأً ؛ لأنهم فيما يظهر لم يتعمدوا التحريف والدّس ، فجاءت بحوثهم أقرب إلى الصواب والموضوعية من غيرهم ؛ بل إن منهم من اهتدى إلى الإسلام ، مثل : (اللورد هيدلي دانين دنينه) وتسمى (بناصر الدين دنينيه) ، ومنهم من كان مُنصفاً في رأيه مثل : (رينان) الذي أنكر ألوهية المسيح عليه السلام ، وأثنى على كتب السيرة النبوية ، و (كان لايل) الذي أعجب بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعدّه من الأبطال ، على أن هؤلاء غالباً ما يعتمدون على مواردهم المالية الخاصة بحيث يتمكنون من البحث المجرد عن الهوى أو التأثير الخارجي .

( ) جريشة ، علي ، الاتجاهات١الفكرية المعاصرة / ١٨.

الهدف الثاني ـ هدف صليبي ، وتمثل فيما يلي :

١ ـ الانتصار للصليبية التي اتجهت حملاتها إلى البلاد الإسلامية ، ثم الاستمرار في القيام بدور الهجوم الفكري على عقيدة الأمة الإسلامية وفكرها بعد فشل هذه الحملات عسكرياً ، عن طريق تشويه مبادئ الإسلام وقِيَمه ومصادره وتاريخه .

٢ ـ التهيئة للتبشير بالنصرانية بين المسلمين ليقوم الاستشراق بوظيفة تجهيز الدعاة ، وإحاطتهم بواقع العالم الإسلامي ، وعيوب المجتمعات الإسلامية ، وأماكن تجمعات النصارى المقيمين في البلاد الإسلامية ، ومدى تأثيرهم ومساعدتهم لدوائر التنصير بالمعلومات .

٣ ـ الحاجة إلى العلوم الإسلامية تجاوباً مع الضغط الفكري الذي تتعرض له الكنيسة عن طريق النقد للنظريات والآراء الفلسفية والتاريخية ، التي كانت تتبناها الكنيسة ، وتُضفي عليها صفة القداسة ؛ مما اضطرها إلى إعادة النظر في شروح الأناجيل لمحاولة تفهمها على أساس التطورات العلمية الجديدة ، ولاسيما بعد حركة الإصلاح الديني التي قادها (مارتن لوثر) ، ومن هنا اتجهوا إلى الدراسات العبرانية ، وهذه أدّت إلى الدراسات العربية ؛ لأن هذه الأخيرة كانت ضرورية لفهم الأولى ، ومع مرور الزمن اتسع نطاق الدراسات الشرقية.

الهدف الثالث ـ هدف دفاعي : حرص عليه رجال الكنيسة عن طريق الكتابة باللغات المحلية في أوروبا لتشويه صورة الإسلام ، ووصفه بالوحشية والعداء للشعوب الأخرى ، والشدة في الأحكام حتى لا يغتر أبناء أوروبا بالحضارة الإسلامية ؛ ولاسيما في عهد ازدهار الحضارة العثمانية ، وامتداد فتوحاتها إلى قلب أوروبا ؛ مما كان محل إعجاب كثير من الأوروبيين وانبهارهم متنكرين بذلك للأهداف العلمية().

هـ ـ وسائل الاستشراق وأنشطة المستشرقين :

١ ـ التأليف : اتجه عدد كبير من المستشرقين إلى التأليف في موضوعات مختلفة عن الإسلام ، وعقيدته ، ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وقرآنه والسنة النبوية ، وتعمّد غالب هؤلاء تشويه صورة الإسلام ، وإثارة الشبهات حوله ، ومن هؤلاء :

( ) جريشة ، علي ، الاتجاهات١الفكرية المعاصرة / ١٩. ٢٠.

. أ . ج . أربري : وهو مستشرق إنجليزي معروف بالتعصب ضد الإسلام ، ومن كتبه : (الإسلام اليوم) صدر عام ١٩٤٣م ، (التصوف) صدر عام ١٩٥٠م ، (ترجمة القرآن) صدر عام ١٩٥٠م .

. أ . ر. جب : وهو مستشرق إنجليزي معادٍ للإسلام ، تتّسم كتبه بالعمق والخطورة ومنها : (طريق الإسلام) بالاشتراك ، (الاتجاهات الحديثة في الإسلام) صدر عام ١٩٤٧م ، (المذهب المحمدي) صدر عام ١٩٤٧م .

. أ . ج . فينسينك : عدوّ لدود للإسلام ، يدّعي أن الرسول صلى الله عليه وسلم ألَّف القرآن من خلاصة الكتب الدينية والفلسفية التي سبقته ، ومن كتبه : (عقيدة الإسلام) صدر عام ١٩٣٢م .

٢ . الجمعيات والمجلات : أنشئ في أوروبا عدد من الجمعيات التي تخدم الاستشراق ، وتسعى إلى تحقيق أهدافه ، ابتداءً من عام ١٧٨٧م ، حيث أنشئت جمعية المستشرقين في فرنسا ، وأُلحق بها أخرى عام ١٨٢٠م ، وأصدرت (المجلة الآسيوية) ، وفي لندن تألفت جمعية تحت رعاية الملك عام ١٨٢٣م باسم : (الجمعية الآسيوية الملكية) ، وفي أمريكا عام ١٨٤٢م نشأت (الجمعية الشرقية الأمريكية) ، وصدرت عدة مجلات منها : (مجلة الدراسات الشرقية) ، وكانت تصدر في ولاية (أوهايو) ، ومجلة (شئون الشرق الأوسط) وهي ذات طابع سياسي .

٣ . الدوائر المعرفية : ومن أشهرها (دائرة المعارف الإسلامية) التي كانت تصدر بعدة لغات ، وقد استنفر المستشرقون كل قواهم ، وسخروا كل أقلامهم من أجل إصدار هذه الموسوعة التي تعتمد على الخلط والتحريف والعداوة السافرة لفكر الإسلام .

إلى غير ذلك من المجالات ، مثل : محاولتهم الدخول في المجامع العلمية العربية كمجمع اللغة العربية بالقاهرة وفي دمشق ، كما حاولوا التأثير على مبادئ التربية الإسلامية واستبدالها بالمبادئ الغربية.

آثار الاستشراق على ثقافة المسلمين :

أدّى الاستشراق إلى إضعاف عقيدة المسلمين ، وتشويه صورة الإسلام لدى أبنائه ، وإشعارهم بتناقض دينهم ، وقصوره في مواجهة الجديد والمتطور في واقع الحياة ، ومقارنة ذلك بالفكر الغربي الذي أظهره المستشرقون في صورة الفكر المتكامل والمتلائم مع الحياة العصرية ؛ مما أدّى إلى انهزام نفسية كثير من المسلمين أمام التيار الجارف من كتابات المستشرقين التي تدس الفكر المنحرف ، وتثير الشبه حول الإسلام .

٢. التبشير :

أ . تعريفه :

في اللغة : يعني الخبر الذي يفيد السرور ، أو هو عبارة عن الخبر الذي يحدث في البشرة تغييراً ، وهذا يكون للحزن ،كما يكون في الفرح(١) .

وفي الاصطلاح : يطلق على المنظمات الدينية التي تستهدف في الظاهر تعليم الدين المسيحي ونشره(٢) .

ب – نشأته :

يعود تاريخ التبشير كدعوة إلى مبتدأ دعوة المسيح عليه السلام السرية ، ثم دعوة أتباعه الجهرية بعد إيمان قسطنطين بالنصرانية في القرن الرابع الميلادي ؛ إلا أن التبشير دعوة موجهة إلى المسلمين لم تعرف بالتأثير والنشاط المدعومين إلا بعد فشل الحملات الصليبية انتهاء بالحملة الثامنة التي حدثت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي . ويُذكر أن (ريمون لول) هو أول من تولى التبشير بعد فشل الحروب الصليبية ، فتعلم اللغة العربية في مدارس الأندلس بكل مشقة ، وجال في بلاد الإسلام وناقش علماء المسلمين ، وبرز التبشير بعد ذلك بإرسالياته المتعددة إلى الهند وجزائر السند والشرق العربي (٣) .

( ) الزبيدي، تاج العروس ٣/ ٤٥٩.

( ) محمود ، علي عبد الحميد ،٢الغزو الفكري/ ١٦١.

( ) شاتليه ، ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي ، الغارة على العالم الإسلامي / ٢٢.

جـ. بواعث التبشير :

أولاً : الباعث الديني :

ويُعد هذا الباعث ثانوياً ؛ إذ أن نفراً قليلاً من المبشرين يهدف إلى نشر الدين ، على أن الكثرة ترمي إلى أهداف أخرى ، منها : إخراج المسلم من دينه ليكون ملحداً يقول (زويمر) في مؤتمر القدس عام ١٩٣٥م : (مهمة التبشير التي نَدَبْتُكُم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية ، فإن في هذا هداية لهم وتكريماً ، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله)(١) .

ثانياً : الحقد الصليبي :

يمكن القول بأن هذا الباعث من أقوى البواعث ، فإنه منذ انتشر الإسلام ، وظهر على الدين كله ، وأهل الكتاب يضمرون العداوة للإسلام وأهله ، وزاد الأمر كراهية وحقداً بعد ارتداد النصارى على أدبارهم مهزومين إثر الحروب الصليبية التي دامت قرنين ؛ مما ولَّد في نفوسهم آلاماً صعب عليهم أن ينسوها ، ففرغوها في مخططات التبشير التي تسعى إلى تحويل المسلمين عن دينهم وَلَوْ إلى الإلحاد ، وتعمل على بسط النفوذ الغربي عن طريق تلاميذ التبشير والمغْتَرِّين بحضارة الغرب .

ثالثاً : الباعث السياسي :

حقق الغرب عن طريق التبشير نفوذاً سياسياً في العالم الإسلامي ، بدأ مع الاستعمار حين اعتمدت سياسة الدول الاستعمارية على جهود الرهبان والمبشرين ، فكثيراً ما كان الرجال العسكريون من الإنجليز خاصة يحضّون حكوماتهم على بث المبشرين في العالم ، ومنهم الجنرال (هانغ) الذي نصح الحكومة البريطانية أن ترسل مبشريها إلى شبه جزيرة العرب ، وبذلك يكون التبشير والاستشراق الأداتين الممهدتين للاستعمار الغربي، الأمر الآخر أن التبشير يساهم في درء خطر الوحدة الإسلامية التي يحن إليها المسلمون .

لقد أبرز (لورنس براون) هذا الموقف في صورة واضحة حين قال : (إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً ، أو أمكن أن يصبحوا نعمة أيضاً ، أما إذا بقوا متفرقين ،فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير) .

( ) جريشة ، علي ، الاتجاهات١الفكرية المعاصرة / ٣١.

لذلك كان التبشير عاملاً مهماً في كسر كل دعوة إلى الوحدة الإسلامية ؛ لأن التبشير عمل على إظهار الغرب في مظهر جذاب يبهر العقول ويستميل النفوس ، إلى جانب حرصهم على تحويل مجاري التفكير في الوحدة الإسلامية إلى التفكير في الدخول في النصرانية() ، والأخذ بأسباب نهضة أوروبا التي هي سبيل نهضة العالم الإسلامي ، إلى غير ذلك من البواعث الشخصية والمالية .

د . وسائل التبشير :

أولاً : التبشير المباشر : يقوم به مجموعة من المبشرين المتفرغين لهذه الوظيفة ممن توظفهم الكنيسة وعّاظاً لنشر النصرانية ، ويعتمد هذا النوع على الإقناع الفردي والوعظ العام في الأماكن العامة لتعريف الناس بالمسيح وحياته وتعاليمه ، وقد أهملت هذه الوسيلة ، واستبدلت بجمعيات التنصير الحديثة ، وغالبها يخالف المنهج الأخلاقي الذي رسمه الحواريون والرسل .

ثانياً : وسائل التبشير المساعدة : يُقْصَد بها التبشير عن طريق مجالي التعليم والعلاج ، وقد ظهر هذا الأسلوب في القرن التاسع عشر الميلادي ، عندما دخلت البلاد الاستعمارية في تحالف مع الإرساليات التبشيرية ، وقد حققت الوسيلتان نجاحاً في ذلك .

أما وسيلة التعليم فتُعد من أفضل وسائل نشر النصرانية ، ويتم ذلك عن طريق إنشاء المدارس للمراحل الأولى ، والتي غالباً ما يدرس فيها المنهج النصراني والفكر العلماني ، ويعلم فيها أبناء علية القوم الذين لهم تأثير في واقع مجتمعاتهم مستقبلاً ، كما امتد نشاط المبشرين إلى التعليم العالي ، فافتتحت كليات تبشيرية كجامعة مانيلا وبيروت والقاهرة وتركيا وغيرها ؛ لمناهضة أنشطة الجامعات الإسلامية .

أما العلاج فهو الوسيلة الفعالة في المجتمعات الإسلامية لإقناع الناس بحاجة المجتمع إلى المنصّرين ؛ لاسيما في المجتمعات الفقيرة المتخلفة التي تمارس فيها التعاويذ والتمائم كوسيلتي علاج ، ولإيجاد روح الاعتراف بالجميل والعرفان للمعاملة الطيبة التي قدمت لهم ، وحقق المبشرون منها كسر حدّة التحامل عليهم ، وبناء قناة اتصال بهم() .

( ) المرجع نفسه / ٣٦. ١

( ) علي ، إبراهيم عكاشة ، ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي / ٢٦. ٣١.

هـ . آثاره على ثقافة المسلمين :

١ . اقتلاع الإسلام من النفوس ، وإحلال المسيحية محله ، يوضح ذلك المبشر (رايد) حيث يقول : (إنني أحاول أن أنقل المسلم من محمد إلى المسيح ، ومع ذلك يظن المسلم أن لي في ذلك غاية خاصة ، أنا لا أحب المسلم لذاته ، ولا لأنه أخ لي في الإنسانية ، ولولا أنني أريد ربحه إلى صفوف النصارى لما كنت تعرضت له لأساعده) .

٢ . إضعاف قوة المسلمين ، وإضعاف صلتهم بدينهم ، يقول المبشر (جاردنر) : (إن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوروبا) .

٣ . تغريب المسلمين في بلادهم عن طريق التعليم الذي اعتنى به التبشير لإيجاد أجيال تنتمي إلى الإسلام اسماً ، وتحمل فكر الغرب وتمارس عاداته .

٣- الاستعمار :

أ . تعريفه :

في اللغة : فرض السيادة على الأرض واستغلالها(١) .

وفي الاصطلاح : سيطرة دول الغرب على دول الشرق ، أو العالم الإسلامي بقصد الاستيلاء على خيراته ، والسيادة على أهله ، وتوجيه كل ذلك لخدمة مصالحهم(٢) .

ب . تاريخه :

امتدت جذور الاستعمار ومحاولة السيطرة على الأمة الإسلامية إلى ما يقرب من تسعة قرون منذ الحملة الصليبية الأولى على العالم الإسلامي بقيادة بطرس الراهب سنة (٤٩١هـ . ١٠٩٧م) ، إلى الحملة الصليبية الثامنة بقيادة لويس التاسع سنة ٦٥٢ . ١٢٤٩م ، الذي أُسر في معركة المنصورة سنة ١٢٥٠م ، ونبّه إلى عدم جدوى الصِّدام العسكري مع المسلمين في ذلك الحين ، ونادى بالغزو الفكري لعقيدتهم وأخلاقهم وفكرهم .

وقد استطاعت الحروب الصليبية التي استمرت زهاء قرنين في المشرق استنزاف جميع القوى البشرية والمادية في منطقة الشام ومصر ، وفرض سيادتها على أجزاء من البلاد الإسلامية ، منها بيت المقدس ، وما حوله من الأراضي المباركة ؛ إلا أن الله هيأ لهذه الأمة أسرة آل زنكي التي تمكنت من قيادة المسلمين لمواجهة الصليبيين ، وهزيمتهم ، وتوحيد الأمة الإسلامية ابتداءً من نور الدين محمود زنكي المتوفى سنة (٥٦٩ هـ) ، وانتهاءً بالقائد صلاح الدين الأيوبي الذي كسر شوكة الصليبيين ، واستعاد بيت المقدس سنة (٥٨٣هـ . ١١٨٧م) في معركة حطين ، ويمكن القول إن هذه الفترة الزمنية اتسمت بروح التحدي والمقاومة والدعوة إلى الجهاد في سبيل الله(٣) ، التي اعترف بها بعض الكتاب الغربيين مدركين أنها كانت السد المنيع أمام تحقيق الصليبيين أهدافهم ، يقول (رشتر) : (جهد الصليبيون طوال قرنين لاستعادة الأرض المقدسة من أيدي المسلمين المتعصبين ، فكان عهد الحروب الصليبية من

( ) المعجم الوسيط / ٦٢٧ . ١

( ) محمود ، علي عبد الحميد ،٢الغز والفكر ي/ ١٦٧ .

( ) المصر ي، جميل عبد الله ، محاضر العالم الإسلامي / ٦٦ .

أجل ذلك وأروع العهود في العصور الوسطى كلها ؛ ولكن ذلك الجهد قد خاب ، وتراجعت الحملة الصليبية أمام سدود عنيدة من التعصب الإسلامي) .

وباءت الحملات الصليبية بالفشل ، وارتدت على أعقابها خائبة ، ولم تلبث الأمة أن تولت قيادتها الدولة العثمانية التي حفظت العالم الإسلامي من أخطار محاولة الغزو العسكري الغربي ؛ بل عملت على توسيع رقعة البلاد الإسلامية ، ونشر الإسلام في أوروبا ، حتى تمكنت من فتح القسطنطينية قلعة الدولة الرومانية الشرقية، فهال ذلك أوروبا وقض مضجعها ، وضاقت ذرعاً ؛ ساعية إلى بحث هذا الأمر الذي تعارفوا عليه بالمسألة الشرقية للوصول إلى خطة توقف هذا الامتداد الذي بلغ فِينَّا ، واستولى على جنوب فرنسا ، وسيطر على غالب ما يُعرف بأوروبا الشرقية ، فكان لابد من التفكير في الغزو العسكري من جديد بعد أن هيأت له العوامل الأخرى من تبشير واستشراق الأرضية الملائمة ، وبعد أن دبت الهزيمة النفسية في المسلمين مغترين ببهرج الحضارة المادية في أوروبا ، وبعد أن شاخت الدولة الإسلامية وظهر عليها مظاهر الضعف ، فكانت الخطة تقتضي تقطيع جسم الدولة الإسلامية أولاً ، ثم الإجهاز عليها ، فتنافست الدول الأوروبية في استعمار العالم الإسلامي ، وعلى الأخص بريطانيا وفرنسا وروسيا ؛ متخذين أسلوب الحماية العسكرية قبل الحرب العالمية الأولى وسيلة للتمويه على الشعوب الإسلامية وتفادي روح المعارضة ، ورغم أن هذه المعاهدات كانت تظهر على أنها بين طرفين متساويين ؛ لكن الحقيقة هي سيطرة الدول المستعمرة ، وسيادتها عسكرياً وفكرياً على أهالي وأراضي البلاد المستعمرة ، ثم اتخذت هذه الدول أسلوب الوصاية والانتداب بعد الحرب العالمية الأولى لتكتسب الشرعية في تنفيذ مخططاتها ، وقد سيطرت الدول الأوروبية على العالم الإسلامي ، وفق ما يلي :

١ ـ بريطانيا : استعمرت ماليزيا وشبه القارة الهندية وساحل الخليج العربي والجنوب العربي ومصر والسودان وجزءاً من الصومال وأريتريا وقبرص ونيجيريا ، وبعد الحرب العالمية الأولى العراق والأردن وفلسطين .

٢ ـ فرنسا : استعمرت مالي وتشاد والسنغال وموريتانيا والمغرب والجزائر وتونس وجيبوتي ، وبعد الحرب العالمية الأولى سوريا ولبنان .

٣ ـ إيطاليا : استعمرت ليبيا وجزءاً من الصومال .

٤ . روسيا : استعمرت تركستان والأراضي الإسلامية في الأورال وحوض نهر الفولجة وشبه جزيرة القرم وبلاد القوقاز إلى شمال إيران .

٥ . إسبانيا : استعمرت الرّيف المغربي والصحراء المغربية .

٦ . هولندا : استعمرت أندونيسيا ()[1] .

جـ . أهداف الاستعمار :

١ . هدف صليبي (هدف للكنيسة) : يحقق ما عجزت عنه الحملات الصليبية في القرن الثاني عشر والثالث عشر الميلادي ، وهو السيطرة على البلاد الإسلامية ، وانتزاع بيت المقدس من المسلمين ، والذي كانت الدول الغربية في القرن التاسع عشر الميلادي تسعى إليه ، كما أوضح ذلك القائد البريطاني (أدموند هنري ألنبي) الذي قاد الحملة البريطانية من مصر لغزو فلسطين سنة ١٩١٧م ، حين استولى على بيت المقدس ، وقال كلمته المشهورة : (الآن انتهت الحروب الصليبية)()[2] .

٢ . هدف سياسي (يتعلق بالدول والحكام أنفسهم) : نشأ عن التنافس بين الدول الغربية في السيطرة على المواقع الاستراتيجية ، ومناطق الثروات المعدنية والزراعية ، وبسط النفوذ على أكبر قدر من المساحة ؛ ونظراً لما تتمتع به البلاد الإسلامية من موقع استراتيجي يقع في وسط العالم ويتصل بالقارات الثلاث : آسيا وأفريقيا وأوروبا ، ويتحكم في ممرات الملاحة العالمية من المحيط الهندي إلى البحر الأحمر إلى البحر الأبيض المتوسط ، ويمثل مضيق جبل طارق ومضيق باب المندب ومضيق هرمز أهم بوابات الملاحة العالمية التي سيطرت على الحركة البحرية والتجارية والعسكرية ، ولاتساع العالم الإسلامي فهو يحتوي على معظم المعادن والحاصلات الزراعية التي تعتمد عليها المدنية الحديثة ؛ مما جعل البلاد الإسلامية في مطمع الدول الغربية ورغبتها في السيطرة عليها .

٣ . هدف اقتصادي : نتج عن الثورة الصناعية التي نشأت في أوروبا في الثلث الأخير من القرن الثامن عشر الميلادي ، وأحدثت سلسلة من التغييرات في أساليب الصناعة منها الاعتماد على الآلات في الإنتاج ، وفي القرن التاسع عشر الميلادي زاد الإنتاج زيادة هائلة

( ) المصري، جميل ، حاضر العالم الإسلامي / ٨١- ٨٢ .

( ) محمود ، علي عبد الحميد ،٢الغزو الفكري/ ١٦٧ .

فاحتاج أصحاب المصانع إلى المواد الخام والقوى العاملة ، وإلى الأسواق لتصريف المنتجات ، ولم تتمكن الدول الأوروبية من سد حاجة هذه المصانع من بلادها مما دفعها إلى الاستعمار للحصول على المواد الخام ، وفتح أسواق جديدة أمام منتجات صناعتها ، فكان العالم الإسلامي هدفاً لهم تنافست عليه الدول الأوروبية الصناعية(١) .

٤ ـ هدف عدائي : ملأ قلوب النصارى حسداً وبغضاً للأمة الإسلامية ، فناصبوها العداء منذ نشأتها ، وعملوا على القضاء عليها بشتى الوسائل العسكرية والفكرية عن طريق الحملات الصليبية ، ثم الاستشراق والتبشير ، وبعد الاستعمار حلقة أخرى في سلسلة حلقات العداء المتتالية ، وصدق الله العظيم : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾(٢) ؛ لذا فإن الدول الاستعمارية سعت على مسح الإسلام من قلوب المسلمين ، والاستخفاف به وبعلمائه بوسائل مباشرة وغير مباشرة ، وتغريب الأمة وتعطيل أحكام الإسلام ، ومحاصرة التعليم الديني ، ومحاربة كل المظاهر المتصلة بالإسلام ، وإخماد كل الحركات الإصلاحية التي تدعو إلى الوحدة الإسلامية ، أو إلى العودة إلى الإسلام من جديد .

د ـ أثاره الثقافية :

١ ـ تغريب العالم الإسلامي بصبغ حياة المسلمين في جميع جوانبها ومرافقها بصبغة الحضارة الغربية ، ولا بأس ببقاء الانتماء إلى الإسلام اسماً ؛ في حين يستسلم الواقع في كل مظاهره للفكر الغربي ، مما أدى إلى إيجاد مجتمعات إسلامية تتعامل وتعيش في إطار العادات والتقاليد الغربية .

ومن مظاهره : الاختلاط بين الجنسين ، وإلغاء الحجاب عن المرأة ، والتحلي بالآداب الغربية في التحية والطعام واللباس إلى غير ذلك .

( ) المصري، جميل ، حاضر العالم الإسلامي ١/ ٧٧.

( ) سورة البقرة آية ١٠٩. ٢

٢ ـ إحياء النعرات القومية ، كالطورانية في تركيا ، والفرعونية في مصر ، والبابلية في العراق ، والآشورية والفينيقية في الشام ، والبربرية في شمال أفريقيا ، والقومية العربية ، وتشجيعها لتكون بديلاً عن الفكر الإسلامي ، وإشغال الأمة بتمجيدها والافتخار بها ، مع تجهيل المسلمين بتاريخهم الإسلامي المجيد .

٣ ـ زرع أسباب الفتن والخلاف بين المسلمين ، مثل مشاكل الحدود بين البلاد الإسلامية لتبقي الفتيل الذي يمكن إشعاله في أي وقت ، ومن ذلك مشكلة كشمير المتنازع عليها بين الهند وباكستان .

٤ ـ حماية الإرساليات التبشيرية ، وتمكينها للقيام بعملها ، وتحقيق أهدافها ، وتسويغ إفسادهم لعقائد المسلمين ، وكأنه بذلك يرد لهم اليد التي سلفت لهم عنده ،ج؛ بل شجع على اعتناق النصرانية ، وحمل الجنسية الأجنبية ، ورتب على ذلك كثيراً من الامتيازات() .

( ) محمود ، علي عبد الحميد ،١الغز والفكر ي/ ١٧٠ .

الفصل الثاني

العولمة

يزداد الاهتمام العالمي يوما بعد يوم على مستوى الدول والشعوب بموضوع العولمة ، ومظاهرها المختلفة ، ويكاد هذا الموضوع يستأثر على مساحة كبيرة من الرأي والفكر والحوار والنقاش في وسائل الإعلام والمؤتمرات والندوات الدولية والإقليمية ، وهذا يعني أن العولمة من القضايا الساخنة والمثيرة التي تشغل بال كثير من العلماء والمفكرين في الوقت الحاضر ، وتجعلهم يتطلعون إلى المساهمة في توضيح حقيقتها ، وتجلية غموضها ، وكشف خباياها ، والإجابة على ما يثار حولها من تساؤلات واستفهامات ، والتعرف على آثارها المستقبلية .

وإذا كانت العولمة برزت في مظهريها الاقتصادي والإعلامي فإنها الآن في مرحلة ترسيخ المظهر الثقافي الذي يعد أكثر صعوبة وحساسية من المظاهر الأخرى ؛ نظرا لأنه يلامس خصوصيات الأمم والمجتمعات ، ويصادم تعاليم الأديان وأنماط التقاليد والعادات التي تؤكد على الذاتية والانفراد .

تعريف العولمة :

في **اللغة** : كلمة عولمة مصدر قياسي ، على وزن فوعلة ، مشتق من الفعل الرباعي عولم من العالم ، مثل حوقل حوقلة ، وهي كلمة تدل على التغير والتحول من حال إلى حال .

وفي الاصطلاح : العولمة مصطلح جديد ، له عدة مترادفات ، هي الكوكبة ،والكونية الشاملة ، والحداثة .

هذا المصطلح لم يكن له وجود قبل منتصف عقد الثمانينات الميلادية ؛ إذ أنه قبل هذا التاريخ لم يكن له حضور خاص ؛ بل إن قاموس إكسفورد للكلمات الإنجليزية الجديدة أشار إليه لأول مرة عام ١٩٩١م ، واصفا إياه بأنه من الكلمات الجديدة التي برزت خلال التسعينات ، ثم إنه لو كان موجودا فإنه لم يسترع أي اهتمام ، أو انتباه ، أو أنه كان يعامل معاملة الكلمات العابرة ، التي لا تشير إلى مفهوم خاص ، أو واقع خاص ؛ لكن الحال تغير

بعد التسعينات حيث بدأ يتكون له مفهوم لم يستقر بعد ، وصار من أكثر المصطلحات تناولا وتداولا ونقاشا(١).

ومع هذا التداول المتزايد لا بد من الاعتراف من أن العولمة من حيث الواقع تمثل ظاهرة سياسية واقتصادية وثقافية ؛ بل واجتماعية غير محددة المعالم ، وغير مجمع على صورتها ، ولا مجمع على هيمنتها ؛ ولكن يراد لها أن تكون سمة هذا العصر ، ومصير الشعوب ، وهذا يعود إلى كونها في الأصل تواري خلفها نظاما خفيا على الشعوب ؛ بل حتى على العلماء والمفكرين ، هذا الخفاء هو أحد الأسباب الرئيسة التي أدت إلى تباين تعريفات العولمة ، وتضارب الآراء حول تحديد مفهومها حتى بين أصحاب الاتجاه الواحد ؛ وقد تجاوز هذا الاختلاف صورة التعريف إلى حقيقة ما تعنيه العولمة على وجه التحديد ، بالإضافة إلى سبب آخر هو كون هذه التعريفات صيغت متأثرة بانتماءات أصحابها السياسة والفكرية ، وهو ما يمكن استقراؤه من خلال إمعان النظر في تعريفات العولمة التالية : .

- هي : اتجاه الحركة الحضارية نحو سيادة نظام واحد ، تقوده في الغالب قوة واحدة .
- أو هي : استقطاب النشاط السياسي والاقتصادي في العالم حول إرادة مركز واحد من مراكز القوة في العالم(٢) .
- أو هي : تحويل العالم إلى قرية واحدة ، يتحكم فيها نظام رأسمالي واحد ، يلزمها بالتخلي عن ديانتها وقيمها وحضارتها شرطا لتحقيق النجاح ، في مجال تنمية الاقتصاد والسوق وجودة الأسعار(٣).
- أو هي : اتجاه تاريخي نحو انكماش العالم ، وزيادة وعي الأفراد والمجتمعات بهذا الانكماش(٤) .

( ) الجناحي ، الحبيب ، بحث ١ ظاهرة العولمة الواقع والآفاق ، مجلة المعرفة عدد محرم ٤٢٠ هـ/ ٥٠ .

( ) شاهين ، عبدالصبور ، العولمة جريمة ضد ويب الأصالة ، مجلة المعرفة عدد / ٤٨ ، ربيع الأول عام ٤٢٠ هـ، والثقافة العربية وتحديات العولمة ، مجلة شؤون اجتماعية عدد / ٦١، عام ٤١٩ هـ ، ص / ١٤٠ .

( ) مغنم ، عبدالناصر ، مقالة : ذراع جديدة لأخطبوط الغزو الفكري، مجلة المجتمع عدد / ١٣٢٤ ، ٢٣ / ٨ / ٤١٩ هـ .

( ) الجناحي ، الحبيب ، بحث ٤ ظاهرة العولمة الواقع والآفاق ، مجلة المعرفة عدد محرم ٤٢٠ هـ/ ٥٢ .

- أو هي : مصطلح لما يدار من قبل السياسات الاقتصادية والتفاعلات المالية والضغوط السياسية لمجموعة متنوعة من الفاعلين الذين يضمون دولا كبرى وشركات متعددة الجنسيات ومؤسسات دولية عملاقة().
- أو هي : سهولة حركة الناس والمعلومات والسلع بين الدول على نطاق كوني ().

ومن تأمل هذه التعريفات واستقراء مدلولاتها يتبين لنا أن العولمة شاملة لكل النواحي الفكرية والعملية ؛ وإن ظهرت في صورة معينة ، أو شكل محدد ، وأنها ذات أبعاد متعددة ومستقبلية ، تتناول كل الشعوب ، وتسعى إلى أن تكون بديلا لكل موروث .

نشأة النظام الجديد (العولمة) :

بعد انتهاء الحرب الباردة بين القطبين أمريكا والاتحاد السوفييتي التي دامت أكثر من ٤٥ سنة ، وإن لم يحدث بينهما حرب عسكرية مباشرة ؛ لكن وقعت حروب في العالم بسبب سياستهما ، وتبعية بعض الدول لإحداهما – بلغت أكثر من أربعمائة حرب إقليمية ، راح ضحيتها أكثر من عشرين مليون نسمة ، وفاقت خسائرها المادية خسائر الحربين العالميتين . حدد الرئيس الأمريكي بوش الأب في ١٩٩١/٣/٦م إطار هذا النظام في خطابه الذي ألقاه أمام قوات التحالف في الكويت بعد انتصارها في حرب الخليج الثانية ؛ قائلا : (إننا نرى الآن ظهور نظام عالمي جديد .... ، عالم تصبح فيه الأمم المتحدة بعد تحررها من الطريق المسدود للحرب الباردة قادرة على تحقيق الرؤية التاريخية لمؤسسيها ، عالم تحترم فيه جميع الأمم الحرية وحقوق الإنسان) وقد ركزت وسائل الإعلام على تحليل عبارات هذا الخطاب ، وجعلته جديدا ، وضخمته كأنه الأمر الواقع الذي لا مفر منه.

لعل الرئيس بوش كان يقصد من تحقيق الرؤية التاريخية قيام وحدة عالمية تتجاوز أسباب الصراع ، وتستبعد عوامل التناقض بين الشعوب . وهذا يقتضي التساؤل : علام تقوم هذه الوحدة ؟ . إن كثيرا من المفكرين والمحللين يرون أنها ستقوم على أساس سيادة النموذج

( ) المنير، محمود، العولمة وعالم بلا هوية/ ١٢ .

( ) مقالة : في مفهوم العولمة ، مجلة المستقبل العربي عدد ٢٢٨ ، فبراير ١٩٩٨م ، ص/ ٧ .

الرأسمالي ، ومن هؤلاء المفكر الياباني الأصل فوكوياما الذي اعتبر نهاية الشيوعية وسقوط الاتحاد السوفيتي نهاية للتاريخ بانتصار الرأسمالية() وحضارتها ، وانفرادها بالهيمنة العالمية .

وإذا صح هذا الرأي فإن الوحدة التي سيسعى إليها النظام الرأسمالي ستؤدي إلى الحيلولة دون انفراد أي حضارة سوى الحضارة الغربية الانكلوسكسونية بهوية خاصة ، ومباديء وقيم ومفاهيم تمثل شخصيتها الظاهرة ، وتعبر عن نظرتها للحياة ، وتنم عن تصورها للوجود ؛ لأن ترك هذا النظام مسخ الثقافات الأخرى سيدفع بالأمم إلى الحرص على استمرارها ، والمحافظة على عناصرها ، ووقايتها من عوارض الزمن ، وصراع الأفكار ، وسيؤدي بهذه الأمم إلى أن تبذل في سبيل رسوخها وثباتها كل ما تملك من نفس ونفيس وجهد جهيد ، وهذا لا يعني التخلي عن الثقافة بالكلية بما تحتوي عليه من مباديء وقيم ونظم ومفاهيم ، وإنما يعني صياغة ثقافة الشعوب من جديد في نطاق وحدة ثقافية تتماشى مع عناصر الفكر الرأسمالي الغالب والمهيمن ؛ خصوصا بعد سقوط المنافس الشيوعي العالمي ، هذه الثقافة التي يراد لها أن تكون الثقافة العالمية السائدة لا تعترف بالفوارق العقدية والقيمية ، ولا تأبه بالتشريع الإلهي ، أو الأعراف المحلية ، وتسعى إلى عولمة القيم الغربية في مختلف نواحي الحياة عن طريق جر العالم إلى قبول نمط هذه الحياة التي تقوم في الاعتقاد على حرية التدين والإلحاد ، وفي الاقتصاد على النظام الحر والمنافسة الحرة والأسواق المفتوحة ، وفي السياسة على النظام الديموقراطي الحديث الذي يجعل الشعوب مصدر السيادة والتشريع ، وفي الاجتماع على الإباحية وإضعاف دور الأسرة ، وساعد على انتشار هذه الثقافة هيمنة الدول الغربية على صياغة مواثيق المنظمات السياسية الدولية وقراراتها ، وفي مقدمتها هيئة الأمم المتحدة ، وتحكمها في مسارها عن طريق الفيتو ، واتباعها أسلوب حمل الدول ؛ ولا سيما الفقيرة على الانصياع السلمي لاستراتيجية الدوائر الاقتصادية الدولية كالبنك الدولي والاتفاقية الدولية التجارية ، واستغلالها للنشاط التقني والإعلامي المتعاظم لديها ، والذي يعد سلعة ذات جاذبية كبيرة لدى الشعوب الراغبة في مواكبة التطور العلمي الغربي السريع .

( ) المنير، محمود، العولمة وعالم ابلا هوية/ ١٤ .

دوافع العولمة :

إذا كانت العولمة حديثة من ناحية الاصطلاح فإنها قديمة نوعا ما من الناحية العملية ؛ ذلك أن محاولة الهيمنة على الأسواق العالمية ، ونشر المفاهيم والقيم الغربية كانت من أهداف الدول الغربية بعد الحرب العالمية الأولى عن طريق فرض الوصاية والانتداب ، وبعد الحرب العالمية الثانية عن طريق الاستعمار والتنصير والاستشراق ؛ لكن أطماعها تزايدت بعد تهيء الظروف التالية : .

١. ظهور الثورة التقنية التي سميت بالثورة الصناعية الثالثة ، وتمثلت في التقدم الصناعي الغربي الهائل ؛ ولا سيما في مجال الاتصالات والمعلومات والفضاء والحاسب الآلي والإلكترونيات الدقيقة والهندسة الوراثية .

٢. تحرير التجارة الخارجية بين الدول عن طريق رفع القيود عن النشاط الاقتصادي ، وإبرام الاتفاقيات الدولية الضامنة لذلك كالاتفاقية الدولية العامة للتعريفات التجارية (الجات) التي سعت إلى فتح الأسواق العالمية أمام التجارة العالمية ، وإزالة كل القيود والحواجز أمام التجارة الدولية .

٣. قيام الشركات الكبرى متعددة الجنسيات ، متنوعة النشاطات ، المتميزة بضخامة نشاطها وإيراداتها ومبيعاتها ، مثل : شركة (ميستوبيشي) وشركة (جنرال موتورز) وغيرها من الشركات الكبيرة التي تمتلك أرصدة ضخمة ، وإمكانات مادية هائلة ، وقوة إنتاج واسعة ، فقد استطاعت هذه الشركات أن تفرض نفسها على الواقع الاقتصادي بحيث تعجز الدول من أن تحد من تأثيرها في تحقيق التحولات في النشاط الاقتصادي العالمي .

٤. تنامي القوة العسكرية الغربية ؛ ولا سيما بعد سقوط الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٩١م ، وقد سبقه في عام ١٩٨٩م تحول الدول الأوربية الشرقية من النظام الاشتراكي إلى النظام الاقتصادي الغربي ، واتباعها لسياسات الانفتاح على أسواق الدول الغربية وعلى الفكر الغربي .

ولا ريب أن هذه الظروف ساهمت على إظهار الدول الغربية على أنها قوة عالمية واحدة ، تقود نظاما جديدا ، يسعى إلى نشر نمط الحياة الفكرية الغربية بكل مفاهيمها ونظمها وقيمها بين المجتمعات().

العولمة الثقافية :

لا ريب أن الثقافة ذات خصوصية ؛ إذ أن لكل أمة من الأمم مبادئ وقيما ومفاهيم تمثل شخصيتها الظاهرة ، وتعبر عن نظرتها للحياة ، وتنم عن تصورها للوجود ، فتحرص على استمرارها والمحافظة على كيانها ، ووقايتها من عوارض الزمن ، وصراع الأفكار ، وتبذل في سبيل رسوخها وثباتها كل ما تملك من نفس ونفيس وجهد جهيد ، وحينما نستعرض سلسلة الأحداث الكبيرة التي غيرت تاريخ العالم من حروب وقيام دول وحركات فكرية ونهضات علمية نجد أنها جميعا تهدف إلى اقتلاع فكرة ، وإحلال فكرة أخرى مكانها ؛ سواء أكانت الفكرة البديلة هي الأمثل أم الأسوأ ، وتمثل ظاهرة العولمة في الوقت الحاضر إحدى الحلقات الجديدة في هذه السلسلة الممتدة ، والتي يمكن القول بأن العولمة الثقافية أحد وجوهها وأكثرها تميزا ، وأعظمها خطرا ، وهي تعني إلغاء ثقافات الشعوب المتراكمة والموروثة لتحل محلها ثقافة النظام الواحد عن طريق الوسائل الحديثة المستخدمة من أجل إحداث التحول المطلوب () ، وبالتحديد لتحل محلها الثقافة اللبرالية الغربية التي تأتي ثقافة الولايات الأمريكية في مقدمة دولها ، وهذا ما يؤكده ديفيد روشكوبف الأستاذ في جامعة كولمبيا في قوله : (يتعين على الولايات المتحدة ألا تتردد في الترويج لقيمها ، وفي سعيهم لأن يكونوا مهذبين أو سياسيين ، إنه ينبغي على الأمريكيين ألا ينكروا حقيقة أن أمتهم بين كل الأمم التي عرفها تاريخ العالم هي الأكثر عدلا ، والأكثر تسامحا ، والأكثر حرصا على إعادة تقييم الذات وتحسينها ، وهي النموذج الأفضل للمستقبل)() .

( ) الميلي، منصورز ويد ، مقالة : العولمة في بعدها الثقافي ، مجلة كلية الملك خالد العسكرية ، عدد صفر عام ٤٢٠ هـ / ٣٥ ـ ٣٦ .

( ) هاشم ، هاشم عبده ، مقالة :د ور الإعلام في نشر تيار العولمة ، مجلة كلية الملك خالد العسكرية ، عدد صفر عام ٤٢٠ هـ/ ٢٠ .

( ) مجموعة من المفكرين، الإسلام والعولمة/ ١٤ .

وإذا كانت العولمة عرفت بعولمة الاقتصاد فهذا يرجع إلى كون الاقتصاد أول المنافذ إلى التأثير في حياة الشعوب ، والأداة الضاغطة على مصالحها ، ولا أدل على هذا من أن سقوط الاتحاد السوفيتي كان فشلا ذريعا للنظام الاقتصادي الشيوعي ، وهو في الوقت نفسه انتصار للاقتصاد الرأسمالي القائم على المنافسة الحرة ، والأسواق المفتوحة ، والهيمنة على المال العالمي من خلال الشركات الكبرى ، ومراكز المال الدولية ؛ ويعني أيضا انتصار الفكر الرأسمالي الذي لا يعترف بحدود جغرافية أو حواجز ثقافية ، ويسعى إلى تقنين العلاقات داخل المجتمعات ، وبين بعضها بعضا على أساس أوضاع ثقافية تصون قوانين الرأسمالية ووجودها، ذلك أنه لا يمكن القول بأنه انتصار اقتصادي محض دون تحسب لانعكاسات الفكر الرأسمالي على الفرد والمجتمع ، ذلك أن (العولمة وفقا لرأي الناقد الأمريكي إدموند ويلسون إلى جانب كونها نسقا اقتصاديا فإنها أيدلوجية تخدم هذا النسق)([1]) .

وإذا كانت العولمة الاقتصادية ظهرت من خلال إنشاء الأسواق المالية والتجارية العالمية مثل: السوق الأوربية المشتركة التي أنشئت في أواخر اكتوبر عام ١٩٩١م ، وبرزت عن طريق المؤسسات والشركات العالمية العملاقة ، عابرة القارات ، الخارجة عن سيطرة الدول ، مثل: شركة (ميستوبيشي) ، وشركة (جنرال موتورز) ذات النشاط التجاري الضخم ، فإنها تستمد حيويتها من انجذاب العالم بأسره انجذابا كاملا لفكر النظام الرأسمالي الحر الذي حقق أكبر نجاحاته بعد تراجع النموذج الاشتراكي ، وتطبيق الدول الأوربية الشرقية الاشتراكية سابقا لمبادئ التجارة الحرة ، وهذا يعني أن العالم الذي كان مقسما إلى معسكرين: اشتراكي ورأسمالي أصبح موحدا اقتصاديا ، مقتنعا بالخصخصة وتحرير الاقتصاد ، مؤملا بأن يجلب له توحد الشعوب في النظام الاقتصادي الرفاهية والنمو ؛ بل وربما السعادة الشخصية ، وهذا التوجه العالمي واضح من الناحية الاقتصادية ؛ إلا أن العولمة الثقافية دون ذلك تماما ، فهي الآن لم تبلغ ما بلغته العولمة الاقتصادية من التجليات في حياة الشعوب السلوكية والتطبيقات المادية التي ترعاها المؤسسات الاقتصادية العالمية ، وذلك يعود إلى أن العولمة الاقتصادية

( ) المنير، محمود، العولمة وعالم بلا هوية / ١١٤.

محصلة تطورات تجارية ومالية تسارعت في العقدين السبعينات والتسعينات من هذا القرن(1) بخلاف العولمة الثقافية التي لا تزال مستعصية في كثير من المجتمعات ، ومنها المجتمع الإسلامي على النظام الدولي في التخلي عن ذاتيتها وهويتها الخاصة رغم محاولات الغزو الفكري القديمة التي كانت تسعى إلى تحقيق قدر من جذب الشعوب إليها عن طريق التقليد والتبعية المطلقة .

لكن لا ينبغي أن يغيب عمن كان في حالة ترقب لظاهرة العولمة أنه رغم هذا الاستعصاء فإن المرحلة القادمة من الجهود الغربية المبذولة في التحول العالمي ستتجه نحو الاهتمام بالعولمة الثقافية ؛ نظرا للعناية المتزايدة من الدول الغربية ، وبعض الدول الشرقية التي تسير في ركابها كاليابان بثقافة المعلومات والمعرفة العلمية نتيجة لما تحقق من تطور صناعي سريع ومذهل في العلم وتقنية وسائل الاتصال والإلكترونات ولا يزال ، هذا التطور في وسائل الاتصال حول مسار ثقافة العولمة الغربية من ثقافة الإنتاج إلى ثقافة المعلومات والمعرفة العلمية ، وقد أمكن ذلك بسبب هذه الطفرات الجذرية في العلم والتقنية (2) ، الأمر الذي جعل كثيرا من المفكرين الغربيين يحلمون ببناء امبراطورية العصر الالكتروني وشبكات التحكم والاتصال الجديدة التي سيصبح السوق المالي العالمي واهنا بالنسبة إليها بفضل تقنيات المستقبل(3) .

إن العولمة في اتجاهها الفكري (تطمح إلى صياغة ثقافة كونية شاملة ، تغطي مختلف جوانب النشاط الإنساني ، فهناك اتجاه صاعد يضغط في سبيل صياغة نسق ملزم من القواعد الأخلاقية الكونية)(4). وأن هذه الثقافة مهما استخدم في صياغتها من صبغة علمية ومعرفية فإنها كما يراها عبد الوهاب المسيري صيغت داخل التشكيل الحضاري والسياسي الغربي ، فهي تحمل معالم هذا التشكيل ، وتدور في إطار العلمانية الشاملة التي

( ) عبدالله ، عبدالخالق ، بحث : العولمة نشأتها وأهدافها وكيفية التعامل معها ، مجلة عالم الفكر ، عدد اكتوبر ١٩٩٩م/ ٧٣. ٧٤.

( ) أبوربيع ، إبراهيم ، بحث : العولمة هل من رد إسلامي معاصر ، مجلة إسلامية المعرفة ، العدد الخامس والعشرون عام ٤٢١ هـ/ ٣٣.

( ) المنير ، محمود ، العولمة وعالم بلا هوية/ ١١٩.

( ) مسعد ، محيي محمد ، ظاهرة العولمة (الأوهام والحقائق) / ١٠٤.

تدعو إلى إنكار القيم وتأكيد النسبية المعرفية والأخلاقية وتطور العالم ، ولا يبعد أن تكون الصفة المعرفية لهذه العولمة وسيلة للتسلل إلى إرجاء العالم من أجل بناء الهيمنة الثقافية الغربية(١) التي تسعى الدول الغربية إليها ؛ وتعمل على تحقيقها عن طريق الاتفاقات الثقافية والاقتصادية وغيرها مع الدول الأخرى ، والتي غالبا ما تفرض فيها مصالحها الثقافية وسيادة قيمها على الأطراف الأخرى لكونها تمثل الطرف الأقوى ، سواء كانت هذه الاتفاقيات ثنائية ، أو عن طريق المنظمات الدولية كمنظمة التجارة ومنظمة العمل الدولية ، أو عن طريق المؤتمرات التي تقرر فيها القيم الغربية ، وتلزم بها الدول الأخرى ، وتربط الدول الغربية مساعداتها للدول الأخرى بتنفيذها ، أو عن طريق وسائل الإعلام العالمية كالفضائيات وشبكة الأنترنت(٢) التي تعتمد مادتها الإعلامية على تسويق الفكر الغربي ؛ لذا لا يرى الدكتور عبد الرحمن الزنيدي غرابة في أن تصبح العولمة نهجا جديدا للغرب ، يروج بشكل صريح وظاهر من خلاله قيمه ذات البعد الجسدي المادي في قضايا التي تتصل بالمرأة والأسرة والمجتمع ، ومعطيات حضارته المادية الشهوانية التي تعد أشد الحضارات انهيارا في الأمور الاجتماعية ، وقد تجلت بدايات هذا الترويج في قرارات مؤتمرات السكان والمرأة(٣) التي عقدت في القاهرة عام (١٩٩٤م) ، وفي بكين عام (١٩٩٥م) باهتمام ورعاية غربية .

( ) مقالة : عولمة الالتفات بدلا من المواجهة ، مجلة المعرفة محرم ١٤٢٠ هـ / ٢٠ .

( ) الزنيدي، عبدالرحمن، العولمة الغربية والصحوة الإسلامية : ٣٧ .

( ) العولمة الغربية والصحوة الإسلامية / ٢٩ .

معالم العولمة الثقافية الغربية :

يتعرض العالم اليوم لرياح العولمة الثقافية الغربية التي أصبحت تهب على مجتمعاته عن طريق منافذ اتصال متنوعة وسريعة التأثير ، ناقلة معها أيدلوجيات الفكر الغربي الحديثة ونظرياته الاجتماعية ، ومروجة لسلوكيات المجتمع الغربي وأنماط حياة أفراده ، لقد استهدفت هذه الرياح تفريغ مجتمعات العالم من ثقافتها لتحل محلها الثقافة الغربية ، مستغلة فرصة الانفتاح الثقافي الذي يشهده العالم حاليا ، والتهيؤ النفسي لدى الشعوب لهذا الانفتاح ، ومستخدمة في سبيل ذلك كل مكتسباتها العلمية والتقنية ، وتبرز معالم تأثير هذه العولمة على العالم ، وعلى العالم الإسلامي بصفة خاصة في الوقت الحاضر فيما يلي :

- **التذويب الكلي أو الجزئي للهوية الثقافية** : تسعى العولمة إلى التذويب الكلي أو الجزئي للهوية الثقافية ذات الخصوصية الشديدة لدى المجتمعات التي تكونت لدى كل منها حتى أصبحت نسيجا يميزها عن الأخرى ، وقد قامت الأديان بدور بارز في تشكيل هذه الهوية ، كما ساهمت الأعراف والتقاليد في بلورة خصوصيتها لكل مجتمع ، وإذا كانت العولمة تستهدف هذا التذويب ، وتعمل على انهيار هذه الثقافات وذوبانها فإن هذا يعني أن الثقافة بما فيها ثقافتنا الإسلامية ستتعرض لمواجهة شديدة ، تنعكس سلبا على مجتمعنا المتمسك بجذوره الثقافية ، وستكون هذه الثقافة في محك الامتحان ، فالتي لا تملك مقومات الثبات ستكون أكثر قابلية للاجتياح الثقافي العولمي ، وإذا كانت الثقافة الإسلامية أكثر من غيرها مقاومة للعولمة الثقافية الغربية لما تمتلكه من مقومات الثبات ، وفي مقدمتها الرصيد العقائدي النقي والسند الصحيح ، والماضي التاريخي المشرق والاتساق في تشريعاته مع الفطرة والعقل ، فإن هذا لا يعني أن الثقافة الإسلامية ليست بحاجة إلى تكريس الجهود من أجل تفادي الارتطام مع حركة العولمة العالمية في مسارها الإلزامي ، وإلى المحافظة على هويتها الخاصة وصفتها الشخصية ، وهذا يستلزم

أن نفتح عقولنا ، ونعطي الدراسة والبحث العلمي حقهما ، وسوف نجد فيهما ما يجعلنا الأقوى في ظل المواجهة الواعية لهذا المد العارم(١) .

● **العمل على إبراز الثقافة الغربية** بما تشتمل عليه من مفاهيم وقيم وقناعات ومواقف إنسانية مشتركة وعابرة لكل المناطق الحضارية ، وفرضها على ما سواها من الآراء والأفكار على أساس أنها الثقافة البديلة ، ولأنها تمثل الفلسفة التي ينطلق منها التصور للعولمة ، وتنبثق منها العلاقة بين جوانبها ؛ لذا فإن العولمة لا تستهدف إيجاد ثقافة عالمية جديدة ممتزجة من ثقافات مختلفة ، أو ناشئة من تفاعلها جميعا ؛ وإنما تستهدف نشأة عالم جديد بلا حدود ثقافية خاصة ، ينسلخ من هوياته الماضية ، ويتم فيه التبادل الحر للأفكار والمفاهيم عبر المجتمعات ، ويُمَكِّن من رواج المفاهيم الغربية وأذواق المجتمع الغربي ، وهي من أجل تحقيق هذا الهدف تسعى إلى أن تبلغ البشرية مرحلة من الحرية الكاملة التي تسمح بانتقال الأفكار والمعلومات والاتجاهات والقيم والأذواق على الصعيد العالمي ، وبأقل قدر من القيود والضوابط(٢) ، وذلك لتسهيل عملية الفرض عن طريق ما تمتلكه من وسائل اقتصادية وإعلامية وسياحية عالمية ذات محتوى فكري ، لا يمكن الوقاية من التأثر به بمجرد الاستفادة من الوسيلة ؛ إذ تضعف مع الزمن خاصية التحكم فيصبح الإنسان متأثرا بالمحتوى الفكري رضي أم أبى ؛ مما يقتضي تكثيف الجهود من أجل تحقيق حصانة كافية لأبنائنا وبصفة خاصة أجيالنا القادمة ، ووقايتهم من التقليد والتبعية المطلقة للحضارة الغربية ، تقوم على بناء العقيدة الصحيحة ، وغرس الفضائل والأخلاق الكريمة في النفوس ، والعمل على طهارة المجتمع من الفساد والرذيلة .

● استغلال المؤسسات الاقتصادية والوسائل الإعلامية والنشاط السياحي لترويج الفكر الغربي داخل المجتمعات بطريق غير مباشر ، فقد أصبحت المؤسسات الاقتصادية القائمة وسائل إلى الاحتكار ، والتعامل بالفائدة ، وتجاهل مشاعر الفقراء والمحتاجين ، وتنمية

( ) هاشم، هاشم عبده ، مقالة١: د ور الإعلام في نشر تيار العولمة ، مجلة كلية الملك خالد العسكرية ، عدد صفر عام ٤٢٠ هـ/ ٢٢ .

( ) عبدالله ، عبدالخالق، بحث٢: العولمة نشأتها وأهدافها ووسائلها وكيفية التعامل معها ، مجلة عالم الفكر ، عدد اكتوبر ١٩٩٩م/ ٧٦.

الفوارق بين فئات المجتمع ، وتعظيم صورة المال في النفوس ، والقضاء على الملكيات الصغيرة ، وتحويل الناس إلى عمال لفئة قليلة من ملاك رؤوس الأموال والشركات الكبرى ، الأمر الذي أعطى هذه المؤسسات القدرة على صياغة مثل هذه المعاني السيئة والقيم المادية ، وأصبحت وسائل الإعلام الفضائية أداة لتوجيه الشعوب والتأثير عليها في آرائها وأفكارها وأذواقها ، وصارت وسائل السياحة سبيلا إلى إلغاء الحدود وتقريب المسافات من خلال ما تهيأ للسائح من أسباب المتعة الجاذبة ، وطريقا إلى التلاقي البشري والتلاقح الفكري بين الشعوب ، وهذا يتطلب من المسلمين العمل على إيجاد البدائل الكافية ، وتوظيف الوسائل الجديدة الاقتصادية والإعلامية والسياحية ؛ من أجل تهيئة أجواء صالحة للدعوة إلى الله تعالى ونشر القيم الإسلامية والمحافظة على أخلاق الإسلام الكريمة ومبادئه السامية .

أخطار العولمة الثقافية :

قد يصعب حصر الأخطار التي تنشأ عن العولمة بصفة عامة ؛ بل قد يطول الحديث عن أخطارها الثقافية ، ولكن يمكن الاقتصار على أهمها ، وهي :-

- **تغييب المبادئ الدينية والخلقية تحت وطأة تأثير الفكر الغربي والنظريات المنحرفة عن الدين**(1) والقيم ، ومصادرة الانتماءات الدينية عدا الانتماء إلى النصرانية ، الذي لا نجد في حركة العولمة الغربية ما يدل على الالزام بالتخلي عنه ؛ لأنه يعد نوعا من أنواع الحرية الشخصية في الفكر العلماني الغربي ، ذلك أن واقع الدول الغربية التي تروج للعولمة ، وتسعى إلى فرضها على الشعوب عن طريق مصادرة الانتماء الديني لا تزال على رغم علمانيتها تسير على الخط المسيحي في توجهها العام ، وفي مقدمة هذه الدول الولايات المتحدة الأمريكية ، ولا ريب أن هذا يزيد المسلم إيمانا بحقيقة قرآنية ، هي أن أهل الكتاب حريصون على ردته عن دينه ، قال تعالى﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧ ﴾(2) .
- **فرض التأقلم مع الحضارة الغربية والذوبان فيها** : ذلك إن العولمة ليست محصورة في الاقتصاد وحرية التجارة الدولية التي تعد المحرك الرئيس للعولمة ، وليست مجرد وسائل تنقل العقائد والقيم والنظم بشكل سريع ، يمكن أن تستفيد منها كل أمة في ترسيخ عقائدها وقيمها ونظمها ، وليست فكرة خاضعة لحرية الفرد أو حريات الشعوب كل يأخذ منها ما يريد ، ويدع ما يريد ، وإنما هي تأقلم وذوبان مع معطيات الحضارة الغربية بخيرها وشرها ، وتوجه يعمل على إزالة كل الخطوط التي تفصل بين الأمم وتمايز بينها من عقائد وشرائع وقيم من أجل إقامة عالم واحد لغته المشتركة هي اللغة الإنجليزية ، وقانونه العام القانون الدولي الذي يرعاه ويعده الغرب ، ومقاييسه ومواصفاته وقيمه موحدة هي

( ) الزنيدي، عبدالرحمن ، العولمة الغربية والصحوة الإسلامية/ ٣٣.

( ) البقرة: ٢١٧ ٢

مقاييس الحضارة الغربية ومواصفاتها وقيمها ، إنهم يدركون أن المحتوى الثقافي هو الذي يقود العالم ، ويشكل الشعوب(١).

- إخضاع القيم والأخلاق لقانون فكرة العصرنة والنسبية : ذلك أن العولمة الغربية لا تؤمن بأي قيم ثابتة ، ولا تعترف بوجود كليات ملزمة ؛ بل تتجاوز العقائد والموروثات والقيم الأصيلة إلى ما تقتضيه السيولة الفكرية التي تقوم عليها فكرة العصرنة والنسبية من التطور وعدم الثبات ، وقبر كل قديم وثابت من الأخلاق والقيم ، وهذا يعني أن العولمة محاولة لإخضاع كل القيم بما فيها القيم الثابتة والأصيلة وفق مفهوم العصرنة والنسبية ؛ وإن كان هذا لا ينفي وجود ثمة منظومة معرفية قيمية خفية متكاملة وراءها ، تسعى إلى الاعتلاء على غيرها من القيم الثابتة والتاريخية (٢) ؛ إذ يستحيل أن تنشأ العولمة الغربية وتنمو بمجرد الصدفة والسذاجة ، فحقيقة العولمة الغربية أنها تهدم ما لدى الشعوب من قيم خاصة نابعة من الأديان والأعراف ، وتبني فوقها قيم الحضارة الغربية المضطربة والمتطورة.

الموقف من العولمة الثقافية :

مضت سنة الله تعالى في حصول التدافع بين الناس والصراع بين البشر ، وتمثل ظاهرة العولمة أحد صوره الحديثة ، قال تعالى : { وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتْ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١) }(آل عمران) ، هذا التدافع يستلزم أن يتم بين طرفين مختلفين ؛ لكن لا يستلزم أن يرفض أحدهما ما عند الآخر كليا ، وعلى الخصوص لا يصح أن يقبل ما عنده كليا ؛ لأن القبول يتنافى مع معنى التدافع المقتضي للرفض ولو جزئيا .

إن اتخاذ المسلمين موقفا من العولمة في ظل التدافع القائم بين الحضارات ، ولا سيما مع الدول الغربية التي تقود هذه العولمة – يحتاج إلى حكمة ووعي ، فليس القبول المطلق للعولمة التي تفرضها هذه الدول على الشعوب الإسلامية صائبا ؛ لأن فيه انسياقا وتعجلا وتجاهلا

( ) الميهِ ي، منصورز ويد ، مقالة : العولمة في بعدها الثقافي ، مجلة كلية الملك خالد العسكرية/ ٣٦.

( ) المسير ي، عبدالوهاب ، مقالة : النظام العالمي الجديد ، عولمة الالتفات بدلا من المواجهة ، مجلة المعرفة عدد محرم ٤٢٠ هـ/ ٢٠.

لمنطق العقل الذي يقتضي الانتفاع بما فيها من إيجابيات وتفادي السلبيات ، وليس رفض العولمة جملة صحيحا أيضا ؛ لأنه مناف للحكمة ، ويعرض الشعوب الإسلامية لضرر أكبر ؛ إن قرار الرفض أسهل ما يمكن اتخاذه ؛ ولكنه أصعب ما يمكن التعايش معه مستقبلا ، ذلك أن ظاهرة العولمة من الناحية الواقعية تنامت وأصبحت تمثل صورة جديدة من العلاقات بين الدول والأمم والشعوب ، من يرفضها سيبقى معزولا عن العالم ، وسيحرم من كل عطاءات الحضارة الحديثة ، وإذا كان أحد قد اتخذ قرار الرفض عن قناعه فليعلن أنه ليس بحاجة إلى الاستفادة من التقنية العالية وتبادل المعلومات وأجهزة الاتصال والأقمار الصناعية وأجهزة الطب الحديث والتنقيب الجيلوجي والإلكترونيات ، ومثل هذا الموقف يعني اتخاذ قرار يفرض عزلة قاسية على النفس والمجتمع الذي يخضع له ، ويعني كذلك التعرض لطائل الحصار الدولي الذي سيؤدي في النهاية إلى التنازل بالعزيز والنفيس في سبيل رفع هذا الحصار والتعايش مع الآخرين .

إنه يتعين على المسلمين أن يرفضوا الانسياق مع العولمة فيما يتعارض مع دينهم وهوية أمتهم وإثبات خصوصيتها ؛ نظرا لأن العولمة تستهدف صهر الأمم والمجتمعات في بوتقة واحدة هي بوتقة الحضارة الغربية ، وعلى الخصوص الحضارة الإمريكية ، وإذا كانت الفوارق بين الحضارات الإقليمية طفيفة فإن الفرنسيين لا يزالون وهم يشاركون الغربيين في محتوى الحضارة الغربية الانكلوسكسونية وفي قيادة العولمة على توجس شديد من أن تفرض على حياتهم أنماط سلوكيات الحياة الأمريكية الخاصة ، وعلى خشية من مخاطر اجتياح الأنماط الأمريكية لمجتمعهم الفرنسي تحت مظلة العولمة ، يدل على هذا المواقف المتشددة التي أبدتها الحكومة الفرنسية أثناء مفاوضات الجات في قطاع الخدمات ؛ نظرا لكون هذا القطاع يحتوي على جوانب ثقافية ، متكئين في تشددهم هذا على ما يمتلكون من بدائل اقتصادية مؤثرة تمكنهم من حماية ثقافتهم ، ولا ريب أن المسلمين لا يقلون وزنا وتأثيرا عن الفرنسيين لو توفرت لديهم إرادة سياسية قوية ، تمكنهم من استثمار ما لديهم من ثقافة أصيلة تقوم على جوانب روحية عظيمة تحتاج إلى هدايتها البشرية جمعاء ، ومن ثروة بشرية كبيرة تزيد على مليار ، ومساحات جغرافية واسعة ومتنوعة الموارد ، وثروة معدنية مهمة تعتمد عليها الصناعة الأساسية العالمية ، وموقع استراتيجي يربط القارات ، ويتحكم في الممرات البحرية ، ويتسم

بتنوع المناخ ، ويعد من أفضل المناخات للملاحة الجوية الدولية(١) ، فإن هذه الإرادة لو وظفت توظيفا سليما لغيرت موقع المسلمين ، ونأت بهم عن التبعية لغيرهم ، بالغة بهم إلى موقع القيادة ، وفي أقل الأحوال جعلتهم في موقع الاحترام والمهابة بين الأمم والدول .

إن استثمار المسلمين لما يمتلكونه من عقيدة صحيحة لهي من أقوى العناصر المؤثرة في قلوب المجتمعات والشعوب ، ذلك أن الخواء الروحي المتفشي بين الناس وطغيان المادية المتسلطة وانتشار الأمراض الفتاكة الناشئة من فساد الأخلاق وغياب القيم ، ورواج المخدرات بين الأفراد ، وابتذال الجنس لهي من أهم الظواهر الفكرية والاجتماعية التي تعاني منها شعوب العالم ، ويعالجها الإسلام مخلصا هذه الشعوب من شرورها ، وواقعية الإسلام وعنايته بمصلحة الإنسان وبكل متطلبات تكوينه هي من أهم ما يساعد على سرعة انتشاره على رغم جاذبية الحضارة الغربية المادية التي ابتليت مجتمعاتها بهذه الظواهر السيئة بسبب إهمالها للجانب الروحي والخلقي ، وستزداد سوءا مع العولمة ، ويمثل الإسلام بما يشتمل عليه من صفاء العقيدة وتكامل التشريع وحسن الرعاية للعلم والحضارة وحماية الأخلاق وتحقيق التوازن بين متطلبات الإنسان في الحياة الروحية والعقلية والجسدية ـ الصورة الصحيحة للعالمية أو العولمة التي اختارها الله سبحانه للبشرية ، فجعل الإسلام هو خاتم الأديان والرسالات الصحيحة ، وأبطل ما دونه ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾(٢) .

فلئن أنهى انتصار الرأسمالية على الشيوعية تاريخ الصراع بين المعسكرين الغربي والشرقي فإنه لم ينته بعد الصراع التاريخي القديم بين الإسلام وحضارته والنصرانية وحضارتها ، وإذا كانت الحضارة الغربية التي تعد امتدادا للحضارة النصرانية تريد اليوم الهيمنة على العالم عن طريق النموذج الرأسمالي ، فلعل مؤيدات تصويب نظرية : (صراع الحضارات) لأستاذ العلوم السياسية الأمريكي صمويل هانتنجتون ظاهرة عندما اعتبر نهاية الحرب الباردة وانتصار المعسكر الغربي على المعسكر الشرقي بداية لصراع طويل وممتد بين الغرب النصراني وحضارته

( ) الحميد ، عبدالواحد خالد١، مقالة : العولمة الاقتصادية أهي حتمية أم مجرد خيار ، مجلة كلية الملك خالد العسكرية / ٢٩ .

( ) سورة ال عمل ن ٨٥. ٢

الغربية والشرق المسلم وحضارته الإسلامية(١) ، يدل عليها عالمية الإسلام وصموده على مر التاريخ ، وكثرة أتباعه ، وازدياد قناعة الناس به يوما بعد يوم عن طواعية ذاتية ، واختراقه للمجتمعات الغربية التي أصبح في كثير من دولها يمثل الديانة الثانية بين عدد سكانها ، الأمر الذي حمل الدول الغربية على الاعتراف بحقوق مواطنيها المسلمين السياسية والثقافية ، إن هذا كله يعود إلى كون الإسلام الديانة الوحيدة التي تمتلك أسباب الثبات والمواءمة مع تطور الحياة الصحيح ، فمنطقة الحضارة الإسلامية على رغم سرعة حركة العولمة بين شعوب العالم وقوة ضغط الدول الغربية عليها لحملها على الاستجابة لها ـ أكثر المناطق بطئا ، وأقلها مجاراة لمستجدات العولمة ، وذلك يعود إلى شعور المسلمين بأنها نوع جديد من الغزو الثقافي ، يعتمد على القوة والقهر وابتزاز الشعوب(٢) .

إن التأييد المطلق للعولمة الثقافية بحجة أن الانفتاح على الثقافات الأخرى أصبح من سمات العصر ، وأن الرفض المطلق لن يغني فتيلا في إيقاف المد الغربي الثقافي الزاحف على العالم الإسلامي ـ نوع من الاستسلام الرخيص المتجاهل لطبيعة الدين الإسلامي والمتغافل عن تاريخ الأمة الإسلامية وثقافتها ، إن الموقف يقتضي أن نرفض العولمة الثقافية الغربية التي لا تؤمن بغير قيمها ، وتريد تذويب ثقافتنا الإسلامية ، وأن نرفض كل ما يخالف ديننا وقيمنا الشرعية ، وأن نرفض كل ما يمسخ شخصيتنا أو يبدل هويتنا ، ويقتضي ألا نكتفي بمجرد الرفض وحده ؛ بل لا بد أن نكون إيجابيين في الموقف بحيث نتبنى نهج المواجهة لعولمة المسخ الثقافي أو العدوان الثقافي ، وهذا يتطلب منا أن نكون متشبثين بهويتنا الثقافية الإسلامية ذات الخصائص المستمدة من عقيدتنا وديننا ؛ إن هذه الهوية هي الحصن الحامي لنا من لوثات الغرب وتحدياته العدوانية ؛ بل هي الدرع المنقذ للبشرية كلها مما تعانيه في ظل انتشار المادية وقيم الغرب ، وذلك راجع إلى ما تمتلكه من قيم العدل والحرية وحقوق الإنسان(٣) ، ولعل تنامي الصحوة الإسلامية في العالم الإسلامي يجسد لنا مقدرة المسلمين على التصدي

( ) المنير ، محمود ، العولمة وعالم بلا هوية / ١٤ .

( ) عبدالله ، عبدالخالق ، بحث٢: العولمة نجد ورها وفي وعها وكيفية التعامل معها ، مجلة عالم الفكر ، عدد اكتوبر ١٩٩٩م/ ٧٩.

( ) السحمراني ، أسعد ، مقالة٣تسويق الاستهلاك ، مجلة المعرفة عدد / ٤٦ ص/ ٤٥ .

لهذا المسخ الغربي الفكري والعدوان الثقافي ، ويبين مدى تشبثهم بهويتهم الثقافية (لأن فعل العدوان الثقافي . كما يرى عبد الإله بلقزيز . لا يحتل المشهد وحده ؛ بل هو غالبا ما يستنهض نقيضه بسبب ما ينطوي عليه عنفه الرمزي من استفزاز لشخصية المعتدى عليه ، ومن تشبث بثقافته وهويته)().

لكن مع إدراك أهمية التصدي والمواجهة لا بد أن ندرك أن العولمة وضع عالمي جديد لا يمكن تجاهله ، ليست العولمة الثقافية فحسب ؛ بل جميع أنواع العولمة العلمية والاقتصادية والإعلامية والسياسية فهل بالوسع أن نرفضها جميعا ، ونقبل أن نعيش في معزل عن العالم وحدنا ، لا نمتلك فيه القدرة على المواجهة والثبات على وضعنا الحالي الذي يعاني من التشرذم في المواقف السياسية ، ويفتقد الاستراتيجية الاقتصادية الموحدة والعملية ، ويتصف بالتأخر في السبق العلمي والتكنلوجي الحالي ، فما من سبيل أمامنا إلا أن نسلك موقف الانتقاء والوسطية .

( ) مجلة المستقبل العربي ، مقالة: العولمة والهوية الثقافية ، العدد الثالث ، عام ١٩٩٨م/ ٩٩.

الباب السادس

حقوق الإنسان العامة

الفصل الأول
مقدمة في حقوق الإنسان

حظي موضوع حقوق الإنسان في الوقت الحاضر باهتمام واسع من الناحية العلمية ، وأصبحت رعايته من الجانب العملي دليلاً على الرقي الاجتماعي والحضاري ، وعظُمت عناية المفكرين الغربيين به على إثر تحرر مجتمعهم من تعاليم الكنيسة ، ابتداءً من عصر التنوير والنهضة ، وكأنما اكتشفوا بها حقوقاً جديدةً قد حرم منها الإنسان الغربي من قبل ، وكان من تداعيت هذا التطور الفكري في جانب حقوق الإنسان في أوروبا أن رأى علماء المسلمين أهميةً لإفراد هذه الحقوق بالدراسة والتأليف بعد أن كانت تابعة لموضوعات الفقه الإسلامي ، على أن تستند في تقريرها وعرضها على الأدلة الشرعية وآراء فقهاء المسلمين ، وأن تعتني بتجلية تاريخ هذه الحقوق العريق وممارستها في المجتمع الإسلامي بما يثبت أن الإنسان في ظل الإسلام تمتّع بها منذ ظهور هذا الدين ، دون مطالبة أو ثورة كما حدث في أوروبا ؛ لأنها مِنحة إلهية ثابتة بالوحي لهذا الإنسان الذي كرمه الله وفضّله على سائر خلقه .

أ- **تعريف الحقوق :**

الحقوق جمع حق ، ومعنى الحق في اللغة : ورد بعدة معانٍ ؛ لعل أظهرها وأكثرها استعمالاً معنى : "الثبوت والوجوب" ، قال تعالى : ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ **القصص: ٦٣**، أي: ثبت ، وقال تعالى: ﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ **الزمر: ٧١**، أي وجبت ، قال الجرجاني في التعريفات : (الحق في اللغة : الثابت الذي لا يسوغ إنكاره)[1]، وقال الزمخشري في أساس البلاغة : (حقّ الله الأمر حقاً : أثبته وأوجبه)[2]. وكلمة الحق إذا أضيفت إلى الإنسان قصد بها مصطلح معين في الفكر المعاصر ، يستهدف تثبيت القواعد الكلية في الأنظمة والقوانين[3]، ورعاية المبادئ العامة[3]وتقرير مبدأ حمايتها .

---

(1) الجرجاني ، التعريفات / ٩٤ .

(2) الزمخشري ، أساس البلاغة / ٩٠

(3) المحمصاني ، صبحي ، أركان الحقوق / ١٣

مدلول حقوق الإنسان في الاصطلاح : ليس من السهل تحديده ؛ لما يتصف به من شمول وسعة ؛ ولكن يمكن أن يحدد المقصود بأنه : (جملة المزايا التي تعد الحد الأدنى الذي يتعين الاعتراف بها للفرد في مواجهة سلطة الدولة وحمايتها) أي الإقرار للإنسان بحقوقه الأساسية وحمايتها[1].

ب- نبذة تاريخية عن حقوق الإنسان :

بدأ بحث قضايا حقوق الإنسان إجمالا في تاريخ متقدم تحت مسميات مختلفة[2]؛ إلا أن البحث فيها بتفصيل وموضوعية يعدّ من ظواهر الفكر السياسي الحديث ، أما قبل ذلك فالحديث يتعلق بمميزات الطبقات من النبلاء وكبار القساوسة؛ هذا باستثناء الشرائع السماوية ، فإنها بلا ريب قد قدَّرت كرامة الإنسان وما يستحقه من حقوق ، وما عليه من واجبات ؛ ولكن ليس بين أيدينا ما يمكن الجزم بأنه يمثّل موقف هذه الشرائع بعد أن تعرضت للتحريف والزيادة والنقصان سوى شريعة الإسلام .

ففي العصور القديمة كان المجتمع مبنياً على أساس أن الحق تابع للقوة ، والأفراد أدوات في يد السلطة ، يجب عليهم الخضوع التام لها من الناحيتين الدينية والدنيوية ، فكانت تتدخل في كل شيء حتى مسائل الزواج ، وهذا واضح في الإمبراطوريات التي قامت في مصر وبلاد ما بين النهرين[3].

ولم تكن المدن اليونانية أحسن حالاً ، مع أن دستور أثينا يعد أكثر الدساتير تقدماً ، فلم يكن يقر للأفراد بالحقوق العامة ؛ وإنما قصرها على مشاركة بعضهم في إدارة شؤون الدولة ، فأما بقية الناس فهم تبع يجب عليهم الخضوع التام والتسليم المطلق للدولة .

وكان الرومان ينظرون إلى غيرهم من الشعوب نظرة ازدراء ، ويرون أنهم غير مؤهلين لحكم أنفسهم ، أو الاختصاص بخيرات بلادهم التي هي من حق الرومان ؛ وليس لهم منها إلا ما يشبع بطونهم ، وأن حسبهم شرفاً أن يقوموا بخدمة الإمبراطورية الرومانية .

---

(1) زكي ، محمد جمال ، دروس في مقدمة الدراسات القانونية/ ٢٦٧

(2) شكري ، محمد عزيز ، المدخل إلى القانون العام / ١٧٧.

(3) حمودي ، عدنان ، نظرية الحقوق والحريات العامة/ ١٠.

وامتهن الإنسان في الهند أشد امتهان في ظل الديانة البرهمية التي قسّمت المجتمع إلى طبقات متفاوتة ، تبلغ إحداها مرتبة الألوهية ، وتنحط الأخيرة إلى مرتبة الحيوان.

ونشأ في أوربا صراع بين الكنيسة والحكام في العصور الوسطى بشأن اختصاص كل منهما ، تحدَّدت على أثره مظالم فادحة لحقت الإنسان ، منها نظام الإقطاع الذي يقوم على التدرّج الطبقي ، وينتهي بضياع حقوق العامل ومنها : سلْب حريات الإنسان في صورة فيها الحجْر على العقول ، ومنعها من البحث وإعلان نتائج جديدة تخالف ما تبنته الكنيسة من فلسفات ونظريات قديمة ، يبطلها الدليل العلمي وتوضّح زيفها التجربة ، ومنها إثقال كاهل الإنسان بالعشور والسخرات وغيرها من وجوه الاستبداد والظلم والإهانة لهذا الإنسان ، حتى تفجّرت في أوروبا في القرن الثالث عشر الميلادي ثورات مندّدة بهذا التسلط ، ومطالبة بحقوق الإنسان ، أو تقييد سلطة الحاكم ، كما حدث عام ١٢١٥م في إنجلترا لمّا صدر العهد الأعظم الذي حدّ من سلطة الملك يوحنا ، وألزمه الاعتراف بامتيازات البارونات ، وهم الأشراف الإقطاعيون ، ويلاحظ أن هذا العهد أقرَّ بحقوق معينة لفئة معينة من الشعب لا تقل ظلماً عن طبقة الحكام في ذلك الوقت ، أو كما حدث في القرن السابع عشر مع الملك شارل الأول حين طلب من البرلمان إمداده بالمال لمواجهة فرنسا وأسبانيا ، فرفض ، فاستقرض رعاياه ، وفرض عليهم ضرائب بأمره ، فأصدر البرلمان وثيقة مشهورة عام ١٦٢٨م تُعرف بوثيقة الحقوق ، ذكَّر فيها الملك بالعهد الأعظم ، وأكّد القيود القانونية على سلطته ، وأنكر حقه في التكليف بالضرائب أو السجن التعسفي( )، وكما حدث في أمريكا حين طُرحت الأفكار السياسية التي تُنكر قداسة الملك ، وانتهت بإعلان استقلال الولايات المتحدة عام ١٧٧٦م ، وتضمّن الإعلان إقرار بعض الحقوق ، مثل حق الحياة والحرية ، ثم صدر الدستور الأمريكي سنة ١٧٨٧م الذي نصّ على حرية العقيدة ، وحرمة النفس والمال ، وضمانات الحريات ضد التعسف( )، وفي فرنسا أعلنت ٢الجمعية الوطنية وثيقة إعلان الحقوق سنة ١٧٨٩م التي تضمّنت المساواة ، وصيانة الحرية للفرد واحترام ملكيته( )٠ ٣

(١ الترمانيني ، عبدالسلام ، حقوق الإنسان في الإسلام ٩-١٠.

(٢ المحمصاني ، صبحي ، أركان الحقوق / ٤٠ .

(٣ المحمصاني ، صبحي ، أركان الحقوق / ٤٢.

كانت هذه الأحداث سبباً في إفاقة كثير من الشعوب ، والعمل على صدور ميثاق هيئة الأمم المتحدة في شهر يونيو عام ١٩٤٥م ، وقد نصّت ديباجته على إيمان الموقعين من الدول بالحقوق الأساسية ، وبكرامة الإنسان وقدره ، وبما للرجال والنساء والأمم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية( )، وتضمّنت المادة الأولى منه على تعزيز احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس جميعاً ، والتشجيع على ذلك .

وفي عام ١٩٤٦م تشكلت لجنة من هيئة الأمم المتحدة خاصة بحقوق الإنسان ، أصدرت بعد دراسةٍ استمرت قرابة عامين الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، وتمّ التصديق عليه من الجمعية العمومية في كانون الأول عام ١٩٤٨م( )، وقد تضمنت ديباجتهٔ الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية ، وبحقوقهم المتساوية الثابتة ، وهو أساس الحرية والعدل والسلام في العالم .

ولا تزال المنظّمات الدولية والإقليمية تُصدر وثائق ، تُؤكد وتفرع الحديث عن الجوانب المتعددة لحقوق الإنسان ، في حين تستمر الانتهاكات والتعدّيات على تلك الحقوق جنباً مع جنب مع هذه الوثائق ، والواقع أن العمل بهذه الوثائق الدولية والإقليمية منحاز في كثير منها ، وإلا فأين حقوق الإنسان في فلسطين وفي كشمير وفي البوسنة والهرسك التي انتُهكت على مرأى ونظر العالم؟ . وهل لكونها قضايا إسلامية لا تُحمى دولياً؟ ، ولا تُعالج قضاياها بسرعة وقوة مثل حماية حقوق الإنسان النصراني ومعالجة قضاياه؟ . وهذا يعود إلى الأسس التي تُبنى عليها هذه الوثائق والإعلانات ، أسس لا تقوم على العدل والإنصاف ، ولا تمتلك العمق( ) الإيماني بها من غير تمييز كما هو المفترض حسب المعلن منها ، وهذا لا يتحقق في ظل الإسلام.

ج- حقوق الإنسان العامة :

---

(١) ميثاق الأمم المتحدة، ٥ .

(٢) أبو تله ، محمد توفيق ، موسوعة حقوق الإنسان/ ٥ .

(٣) العمير ، محمد بن عبدالرحمن ، حقوق الإنسان السياسية (رسالة ماجستير) ٢٧ .

يُقصد بها: أمور معينة اقتضتها الفطرة الإنسانية ، واستلزمتها شؤون الحياة ، ويقتضي إثباتها للإنسان تمكيناً لمسيرة الحياة ، وضماناً لدفع عجلتها للمسير .

فقد قرر الإسلام للإنسان حقوقاً طبيعية ، وحذر من تضييعها أو الاعتداء عليها ،كان من أبرزها : حق المساواة ، وحق الحرية ، وحق التملك ، وحق العمل ، وحق التعليم( )، وسنقتصر منها على حق المساواة ؛ لكونه أظهر الحقوق .

(٢ خليل ، رشاد ، مفهوم المساواة في الإسلام/ ١٤ .

الفصل الثاني : حق المساواة

أ- معنى المساواة في اللغة والشريعة :

كلمة مساواة مأخوذة من سواء ، وتُجمع على أسواء وسواسية وسواسوة ، والأخيرة نادرة ، وكلها أسماء جمع[1]. ووردت سواء في القرآن الكريم بمعنى المساواة ؛ قال تعالى: ﴿سَوَاء مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَار﴾الرعد: ١٠. ومعناه أن الله يتساوى علمه لما غاب أو شهد وظهر في الطرقات ، أو استخفى في الظلمات ، وجهر به في حديثه ، أو أضمر في نفسه[2]، قال تعالى: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾آل عمران: ٦٤. أي تعالوا آمنوا بكلمة اتفقت الرسالات عليها ، وتساوت في الدعوة إليها ، وهي إفراد الخالق عز وجل بالعبادة .

وورد معنى المساواة مستعملاً في المعاني التالية :

- التكافؤ : ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: ((المسلمون تتكافأ دماؤهم ، وهم يد على من سواهم ، يسعى بذمتهم أدناهم))[3] أي تتساوى دماؤهم .
- المماثلة : بمعنى المعادلة في القدر والقيمة ، ومنه قولهم هذا يساوي درهماً أي تعادل قيمته درهماً ، واستووا في المال أي تعادلوا فلم يفضل منهم أحد على أحد[4]، ومنه قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾الكهف: ١١٠ .

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، الفيروز آبادي ، القاموس المحيط .

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٩ / ٢٩٠ .

(٣) رواه أبو داود برقم (٢٧٥١) كتاب الجهاد ٤ / ١٨١ ، وابن ماجة برقم (٢٦٨٣) كتاب الديات ٢ / ٨٩٥ .

(٤) الفيومي ، أحمد بن محمد ، المصباح المنير ١/ ١٤٧ .

●المشابهة : ومنه قولهم : شبّهت الشيء بالشيء أي أقمته مقامه بصفة جامعة بينهما[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾البقرة: ٧٠، أي تتساوى علينا صفاتها .

●العدل : ومنه قولهم فلان يعدل فلاناً أي يساويه ، والعدل في الموازين والمكاييل المساواة بينهما في القدر[2]، ومنه قوله تعالى: [3]﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيمَانُكُمْ﴾النساء: ٣ أي ألا تساووا بين نسائكم في النفقة والسكنى والمبيت فاكتفوا بواحدة ، وغيرها من المعاني .

معنى المساواة في الشريعة الإسلامية :

هي المساواة بين الناس في القضايا الفطرية الخالصة التي لا شأن للبشر في استحداثها من أنفسهم ، والتي يقضي بها المصير المشترك ، ويتطلبها العدل بينهم في السلوك والأمن الاجتماعي ، وإتاحة متطلبات الحياة المتكافئة ، وتيسيرها أمام جميع الناس بالتشريع الواحد ، وإنكار الامتيازات الخاصة القائمة على أساس فطري لفئة من الناس دون غيرها.

فهي مساواة فطرية عادلة ، لا تفرّق في تشريعها بين إنسان وآخر ، وعظيم وحقير ، وشريف ووضيع ، وذكر وأنثى ؛ إلا فيما له سبب مكتسب ، تُقرّه قواعد العدالة ، وتقتضيه سنة الحياة ، وبناءً على ذلك لا يمكن فهم مدلول المساواة في الحقوق بين الرجل والمرأة على التماثل والتطابق ؛ نظراً لاختلاف طبيعة خلقهما ووظيفتهما في الحياة ، فهم متساوون في أسس المسؤولية ؛ لكنهم مختلفون في بعض الحقوق لهذا الاختلاف ، ولا يمكن فهم مدلول المساواة بين الناس على أنه التوافق في الأمور المكتسبة ، فإن ذلك يضادّ قواعد العدل والإنصاف ؛ نظراً لتفاوت الناس في الاستعدادات الفطرية والقدرات الإنسانية[3].

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب .

(٢) ابن منظور ، لسان العرب .

(٣) خليل ، رشاد ، مفهوم المساواة في الإسلام/ ١٦ .

إن شريعة الإسلام توجب المساواة بين جميع مَن هم في مراكز متماثلة دون تفرقة بينهم لسبب يتعلق بأشخاصهم ، وهي تنادي بها حقاً أصيلاً لكل إنسان من غير جنوح بالواقع البشري إلى ما يصادم العقل ، أو يناقض الفطرة ويحيد بهما عن معالم المنهج الأمثل[١].

ب- أسس المساواة في الشريعة الإسلامية :

تقوم المساواة في الإسلام على أربعة أسس:

١ . المساواة في القيمة الإنسانية : ويُقصد بها مساواة جميع أفراد الإنسانية في أصل النشأة ، وكل المراحل والأطوار التي تتعلق بخلق الإنسان وتتصل بنشأته ؛ دون تمييز بينها لاعتبارات الجنس واللون وأسلوب الحياة وظروف المعيشة[٢].

فقد قرر الإسلام أن الناس سواسية في أصلهم ومنشئهم ، وأن ليس ثمّ تفاضل على أساس ذلك ، فهم منحدرون من أصل واحد هو آدم عليه السلام ، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء﴾ النساء: ١.

وإذا صار الناس شعوباً وقبائل فلم يصيروا كذلك ليتفاضل شعب على شعب ، أو قبيلة على قبيلة ؛ وإنما ليتعارفوا بعد أن كثروا وانتشروا في الأرض ، وإلا فإن التفاضل يكون على أساس التقوى التي هي العمل الصالح الذي يرضي الله سبحانه ، قال تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾الحجرات: ١٣. وهم يتفقون في المنشأ ، فقد خلق الله أباهم آدم من تراب ، قال صلى الله عليه وسلم: ((الناس كلهم بنو آدم وآدم خلق من تراب))[٣]، لا يتميز أحد على

---

(١) خليل ، رشاد ، مفهوم المساواة في الإسلام/ ١٦ .

(٢) المرجع نفسه / ١٤.

(٣) رواه الترمذي ، كتاب المناقب ، قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب . ورواه أبو داود ب، كتاب الأدب ، بلفظ (أنتم بنو آدم وآدم من تراب) .

أحد في ذلك ، فهم إن اختلفت ألوانهم وأجناسهم واعتباراتهم العرفية فقد خُلقوا من تراب ؛ متساويين في القيمة الإنسانية ، ليس لأحد فضل على آخر إلا بالعمل الصالح ، ومن تأخّر فيه لم يكن لسواه مما تعارفوا عليه أثر في التعويض عنه ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : ((ومَن بطَّأ به عمله لم يُسرع به نسبه)) [1].

٢ ـ المساواة في التكليف بالعقيدة وأحكام الشريعة : ويُقصد بها مساواة الناس في خطاب الشارع الملزم بالإيمان بالله تعالى وتوحيده والتصديق بأركان الإيمان الأخرى والامتثال التام لما فرضه الله وشرعه[2].

فقد ساوى الإسلام بين الناس في التكليف بقضايا العقيدة والعبادة على أساس أنها الحق الذي يجب الاهتداء به، وترك ما عداه من عقائد وشرائع، قال تعالى: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ يونس: ١٠٨.

وطالبهم بالإيمان ؛ ليتحقق لهم الخير مع الاعتقاد الصحيح الذي يُنير لهم سبل الحياة ، ويُنجّيهم من ظلمات الكفر والضلال ، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ النساء: ١٧٠.

وليس الإيمان مجرد اعتقاد في القلب ؛ بل عبادة كاملة ،:وخضوع تام لله تعالى في الظاهر والباطن والفكر والواقع ، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة: ٢١

وعلّة هذه المساواة في التكليف الواحد أن الناس متماثلون في الخصائص والاستعدادات لتحمل أعباء التكليف[3]، فكان ذلك تحقيقاً[4] لعدل الله المطلق الذي اتصف به، قال

---

(١) رواه مسلم ، باب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٢) خليل ، رشاد ، مفهوم المساواة في الإسلام/ ١٤.

(٣) الشيشاني ، عبدالوهاب ، حقوق الإنسان وحرياته الأساسية/ ٦٤٥.

تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيم﴾ الأنعام: ١١٥، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ النحل: ٩٠.

٣ ـ المساواة في المسؤولية والجزاء : ويقصد بها استقلال كل إنسان في أن يطالب بالعمل ، ويؤاخذ على التفريط به ، ويجازى عليه وفقاً لمعايير المسؤولية المتمثلة في ذاتية المسؤولية ، واشتراط التكليف في المسؤول وانتفاء عوارض الأهلية[١].

ولقد قرر الإسلام أن يُعامَل الناس على قدم المساواة في شؤون المسؤولية والجزاء دون تفرقة بين شريف ووضيع ، أو غني وفقير ، أو محبوب ومكروه ، على أساس العدل والإنصاف بين الناس، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾ النساء: ١٣٥. هذا العدل لا ينبغي أن يتأثر بالاختلاف في الدين ، أو في الأمور الشخصية ، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ المائدة: ٨.

فيجب أن يقوم الحكم بين الناس على العدل ، وأن يتمثل ذلك الحكام والقضاة دون تفرقة في إثبات الحكم ، وتنفيذه من غير مبالاة بأي اعتبار من جاه أو شرف أو منزلة، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ﴾ النساء: ٥٨ والرسول صلى الله عليه وسلم يُحذّر من مغبة التمييز في ذلك بين الناس ، فيقول: ((إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها))[٢]. ويوصي عمر رضي الله عنه من بعده فيقول: (اجعل الناس عندك سواء ، لا تبالِ على من وجب الحق ، ثم لا تأخذك في الله لومة

---

(١) خليل ، رشاد ، مفهوم المساواة في الإسلام/ ١٤.

(٢) رواه البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء .

لائم ، وإياك والمحاباة فيما ولَّاك الله)[1] ، وجاء في رسالة عمرَ رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : (وآسِ بين الناس في وجهك ومجلسك وقضائك ؛ حتى لا يطمع شريف في حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك)[2].

(1) ابن سعد ، الطبقات ، ٣/ ٣٣٩.

(2) رواه البيهقي ١٠/ ١٣٥ ، قال الألباني : وجادة صحيحة ، إرواء الغليل ٨/ ٢٤١ .

الخاتمة :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأحمد ربي على الانتهاء من هذا السفر المبارك الذي أسأل الله ان يجعله نافعاً لي ولغيري دنيا وأخرى.

ولعل مما يستخلص من هذا البحث:

- العلم بمنهاج الإسلام الشمولي في القيم والنظم والفكر.
- علاقة الثقافة بالدين والقيم والعلم والمدنية والحضارة.
- يُعَدُ الدين والعلم في الثقافة الإسلامية بمصادره الصحيحة الأساس الأول التي تقوم عليه .
- اعتناء الثقافة بالقيم الإسلامية كلها .
- العلاقة الوثيقة بين الثقافة والمدنية علاقة قوية .
- للإسلام في بناء الثقافة ونشرها أثر عظيم.
- تأثير الثقافة الإسلامية على الثقافات الأخرى واضح جلي.
- سمو مباديء المساواة في الإسلام.
- يرى الإسلام أن العقيدة الصحيحة هي التي بنيت على العلم والعمل واليقين.

﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾

فهرس المصادر والمراجع

١. إبراهيم ، أحمد عبد الرحمن ، الإسلام والتغيير الثقافي (بحث) ، مجلة كلية الشريعة بالرياض ، العدد / ١٣ عام ١٤٠٣هـ .

٢. ابن ابي شيبة ، مصنف ، المكتب الإسلامي .

٣. ابن أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة الطحاوي ، مكتبة المعارف بالرياض.

٤. ابن الأثير ، مجد الدين المبارك الجزري، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط ،جامع الأصول في أحاديث الرسول ، مطبعة الملاح .

٥. ابن الأثير ، مجد الدين المبارك الجزري ، تحقيق طاهر الزاوي ، ومحمود الطناحي ، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة الإسلامية .

٦. ابن جرير ، التفسير (جامع البيان في تأويل آي القرآن) مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

٧. ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار صادر ببيروت.

٨. ابن سلام ، محمد الجمحي ، طبقات الشعراء ، شرح محمود شاكر .

٩. ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، دار الهلمية بإيران .

١٠. ابن قاسم ، مجموع الفتاوى لابن تيمية ، أصول الفقه ، مطابع مؤسسة الرسالة ببيروت .

١١. ابن القيم ، مفتاح دار السعادة ، دار الكتب العلمية ببيروت .

١٢. ابن كثير ، البداية والنهابة ، مكتبة المعارف ببيروت .

١٣. ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، دار المعرفة ببيروت .

١٤. ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم ، تحقيق عبد الله الكبير ومحمد أحمد حسب الله ، وهاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف .

١٥. أبو ربيع ، إبراهيم ، بحث : العولمة هل من رد إسلامي معاصر ، مجلة إسلامية المعرفة ، العدد الحادي والعشرون عام ١٤٢١هـ .
١٦. أبي داود ، سنن ، دار الفكر .
١٧. الاتحاد الدولي للمجامع العلمية ، دائرة المعارف الإسلامية ، مطبوعات الشعب .
١٨. الأزهري ، أبو منصور محمد بن أحمد تحقيق د عبد الله درويش ، تهذيب اللغة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .
١٩. الأصفهاني ، أبو القاسم ، تحقيق أبي اليزيد العجمي ، الذريعة إلى مكارم الشريعة ، دار الصحوة بالقاهرة .
٢٠. الأعظمي ، محمد ضياء الرحمن ، فصول في أديان الهند ، عام ١٤١٧هـ ، دار البخاري بالمدينة المنورة .
٢١. الألباني ، ناصر الدين ، السلسلة الصحيحه ، مكتبة المعارف بالرياض .
٢٢. البزدوي ، أصول ، دار السلام .
٢٣. البيهقي ، السنن الكبرى ، دار الكتب العلمية .
٢٤. تايلر للدكتور أحمد أبو زيد ، ضمن سلسلة نوابغ الفكر الغرب.
٢٥. الترمذي ، سنن ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي .
٢٦. الترمانيني ، عبدالسلام ، حقوق الإنسان في نظر الشريعة الإسلامية، دار الكتاب الجديد .
٢٧. التهانوي ، محمد علي ، كشاف اصطلاحات الفنون ، شركة خياط للكتب والنشر ببيروت .
٢٨. الثعالبي ، عبد العزيز ، محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان ، دار الغرب الإسلامي.

٢٩. جاد المولى ، محمد أحمد ، الخلق الكامل ، مؤسسة الرسالة .
٣٠. الجرجاني ، التعريفات ، دار الكتب العلمية ببيروت .
٣١. جلوي ، سارة بنت عبد المحسن بن عبد الله ، الطبعة الأولى عام ١٤١٩هـ ، الثقافة الإسلامية ومدى تأثيرها في الفكر المعاصر .
٣٢. جميلة ، مريم ، الإسلام بين بين النظرية والتطبيق ، مكتبة الفلاح بالكويت .
٣٣. الجناحي ، الحبيب ، بحث : ظاهرة العولمة الواقع والآفاق ، مجلة المعرفة عدد محرم ١٤٢٠هـ .
٣٤. حكيم ، محمد طاهر، عام ١٤٠٢هـ ، السنة في مواجهة الأباطيل ، رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة .
٣٥. الحليبي ، أحمد بن عبد العزيز ، ١٤١٩هـ ، ثقافة الطفل المسلم ، مفهومها وأسس بنائها ، دار الفضيلة .
٣٦. الحليبي ، أحمد بن عبد العزيز ، المسؤولية الخلقية والجزاء عليها، الطبعة الأولى عام ١٤١٧هـ ، مكتبة الرشد بالرياض .
٣٧. الحكمي ،حافظ معارج القبول ، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض .
٣٨. الحمد ، شيبة ، الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ، مقرر دراسي بالجامعة الإسلامية .
٣٩. حمودي ، عدنان ، نظرية الحقوق والحريات العامة ، ١٩٧٤م.
٤٠. الحميد ، عبدالواحد خالد ، مقالة : العولمة الاقتصادية أهي حتمية أم مجرد خيار ، مجلة كلية الملك خالد العسكرية .
٤١. الحوفي ، أحمد محمد ، وحدة الثقافة والتاريخ في الشعر الحديث
٤٢. خليل ، رشاد، مفهوم المساواة في الإسلام ،دار الرشيد بالرياض .

٤٣. دراز ، محمد عبد الله ، تحقيق عبد الصبور شاهين ، دستور الأخلاق في القرآن ، مؤسسة الرسالة .
٤٤. دراز ، محمد بن عبد الله ، النبأ العظيم ، دار القلم بالكويت .
٤٥. الزرقاني ، محمد عبد العظيم ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي .
٤٦. زكي ، محمد جمال ، دروس في مقدمة الدراسات القانونية ، دار النهضة العربية .
٤٧. الزمخشري ، أساس البلاغة ، دار المعر للطباعة والنشر ببيروت.
٤٨. الزبيدي ، تاج العروس ،المجلس الوطني للثقافة والآداب بالكويت .
٤٩. الزنيدي ، عبدالرحمن ، العولمة الغربية والصحوة الإسلامية، دار أشبيليا.
٥٠. الزنيدي ، عبد الرحمن بن زيد ، مدخل إلى علم الثقافة الإسلامية (بحث) ، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد / ٢ عام ١٤١٠هـ.
٥١. زيادة ، معن ، الموسوعة الفلسفية العربية ، معهد الإنماء العربي.
٥٢. سالم ، محمد رشاد ، المدخل إلى الثقافة الإسلامية ، الطبعة التاسعة ١٤٠٧هـ ، دار القلم بالكويت .
٥٣. السحمراني ، أسعد ، مقالة تسويق الاستهلاك ، مجلة المعرفة عدد / ٤٦. سرحان ، منير الموسى ، الطبعة الثالثة عام ١٩٨١م ، في اجتماعيات التربية ، مكتبة الأنجلو المصرية .
٥٤. السعد ، نورة ، الطبعة الأولى عام ١٤١٨هـ ، التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي ، الدار السعودية للنشر .

٥٥. سعيد ، محمد رأفت ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٤هـ ، المدخل لدراسة النظم الإسلامية ، دار العلم .
٥٦. سلطان ، محمود سيد ، الطبعة الثانية عام ١٩٨١م ، مفاهيم تربوية في الإسلام ، دار المعارف.
٥٧. السلوم ، حمد بن إبراهيم ، الطبعة الثانية عام ١٤٠٨هـ ، تاريخ الحركة التعليمية في المملكة العربية السعودية (تطور التعليم) .
٥٨. السليمان ، فهد بن ناصر ، مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، دار الوطن للنشر .
٥٩. شاتليه ، ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي ، الغارة على العالم الإسلامي ، منشورات العصر الحديث .
٦٠. الشاطبي ، الموافقات ، دار المعرفة للطباعة والنشر .
٦١. شاهين ، عبد الصبور ، العولمية جريمة تذويب الأصالة ، مجلة المعرفة عدد / ٤٨ ، ربيع الأول عام ١٤٢٠هـ.
٦٢. الشايب ، أحمد ، ١٩٧٢ ، أصول النقد الأدبي ، مكتبة النهضة المصرية.
٦٣. شكري ، محمد عزيز ، المدخل إلى القانون العام وقت السلم ، دلر الفكر بدمشق .
٦٤. شهوان ، رجب سعيد وآخرون ، دراسات في الثقافة الإسلامية ، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٣هـ ، مكتبة الفلاح بالكويت .
٦٥. الشيشاني ، عبد الوهاب ، حقوق الإنسان وحرياته الأساسية .
٦٦. صحيح البخاري ، دار القلم ببيروت .
٦٧. صحيح مسلم ، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض .

٦٨. الطريقي ، عبد الله وآخرون ، الطبعة الأولى عام ١٤١٧هـ ، الثقافة الإسلامية تخصصا ومادة وقسما علميا .
٦٩. الطنطاوي ، علي ، عام ١٤٠٩هـ ، ذكريات ،دار المنارة .
٧٠. ضيف ، شوقي ، الطبعة الثانية عشرة عام ١٩٦٠م ، العصر الجاهلي ، دار المعارف .
٧١. الطهطاوي ، محمد عزت ، الميزان في مقارنه الأديان ، عام ١٤١٣هـ ، دار القلم بدمشق.
٧٢. عبد العال ، حمدي ، الأخلاق ومعيارها بين الوضعية والدين ، دار القلم بالكويت .
٧٣. عبدالله ، عبدالخالق ، بحث : العولمة جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها ، مجلة عالم الفكر ، عدد اكتوبر ١٩٩٩م .
٧٤. عثمان ، عبد الكريم ، معالم الثقافة الإسلامية ، الطبعة الرابعة عام ١٣٩٤هـ ، مؤسسة أنوار الرياض .
٧٥. عرجون ، محمد الصادق ، نحو منهج لتفسير القرآن ، الطبعة الأولى عام ١٣٩٢هـ ، الدار السعودية للنشر .
٧٦. عطار ، أحمد عبد الغفور ، الديانات والعقائد في مختلف العصور
٧٧. عطيه ، أحمد ، دائرة المعارف الحديثة .
٧٨. العقاد، عباس محمود، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ، المكتبة العصرية ببيروت .
٧٩. العقاد ، عباس محمود ، عام ١٩٨١م ، الفلسفة القرآنية ، منشورات المكتبة العصرية ببيروت .
٨٠. عليان ، شوكت محمد ، الطبعة الثانية عام ١٤١٦هـ ، الثقافة الإسلامية وتحديات العصر ، دار الشواف .

٨١. العمري ، نادية شريف ، الطبعة الأولى عام ١٤٠١هـ ، أضواء على الثقافة الإسلامية ، مؤسسة الرسالة .
٨٢. العمير ، محمد بن عبدالرحمن ، حقوق الإنسان السياسية (رسالة ماجستير) ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
٨٣. الفاسي ، علال ، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها ، الطبعة الخامسة عام ١٩٩٣م ، دارالغرب الإسلامي .
٨٤. الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، الطبعة الثانية عام ١٣٧١هـ ، القاموس المحيط ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر.
٨٥. الفيومي ، أحمد بن محمد ، المصباح المنير ، دار المعارف بالقاهرة.
٨٦. القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ، الجامع لأحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربي ببيروت .
٨٧. قلعه جي وآخر ، محمد رواس ، العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة ، دار البحوث العلمية .
٨٨. قنبر ، محمود ، دراسات في أصول التربية دار الثقافة للنشر والتوزيع .
٨٩. الماوردي ، أدب الدنيا والدين ، دار الكتب العلمية ببيروت .
٩٠. المحاسبي ، الرعاية لحقوق الله ، دار الكتب العلمية ببيروت .
٩١. المحمصاني ، صبحي ، أركان الحقوق، مجلة المستقبل العربي ، مقالة : العولمة والهوية الثقافية ، العدد الثالث ، عام ١٩٩٨م.
٩٢. محمود ، علي عبد الحميد ، الغزو الفكري ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
٩٣. مسند الإمام أحمد ، دار صادر ببيروت.

٩٤. المسيري ، عبدالوهاب ، مقالة : النظام العالمي الجديد ، عولمة الالتفات بدلا من المواجهة ، مجلة المعرفة عدد محرم ١٤٢٠هـ .
٩٥. المصري ، جميل ، حاضر العالم الإسلامي، الجامعة الإسلامية .
٩٦. المطيري ، منصور زويد ، مقالة : العولمة في بعدها الثقافي ، مجلة كلية الملك خالد العسكرية .
٩٧. الملفي ، هيام ، الطبعة الأولى عام ١٤١٥هـ ، ثقافتنا في مواجهة الانفتاح الحضاري ، دار الشواف .
٩٨. المنير ، محمود ، العولمة وعالم بلا هوية، دار الكلمة للنشر .
٩٩. موطأ مالك ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة.
١٠٠. ميثاق الأمم المتحدة .
١٠١. نبي ، مالك ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، عام ١٤٠٥هـ ، شروط النهضة ، دار الفكر.
١٠٢. نبي ، مالك ، عام ١٤٠٤هـ ، مشكلة الثقافة ، دار الفكر .
١٠٣. نيللر ، ج . ف ، ترجمة محمد منير مرسي وآخرين ، انثروبلوجيا التربية ، عالم الكتب بالقاهرة.
١٠٤. هاشم ، هاشم عبده ، مقالة : دور الإعلام في نشر تيار العولمة ، مجلة كلية الملك خالد العسكرية ، عدد صفر عام ١٤٢٠هـ .

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة	١
الباب الأول : تعريف الثقافة وعلاقتها بغيرها	٣
الفصل الأول : تعريف الثقافة	٤
الفصل الثاني : علاقة الثقافة بالدين والقيم والعلم والمدنية والحضارة	٩
أ . علاقة الثقافة بالدين	١٠
ب – علاقة الثقافة بالقيم الحسنة	١٢
ج – علاقة الثقافة بالعلم	١٣
د – علاقة الثقافة بالمدنية	١٤
هـ – علاقة الثقافة بالحضارة	١٥
الباب الثاني : علم الثقافة .. النشأة . المنهج . الأهمية . الخصائص	١٨
أ – نشأة علم الثقافة الإسلامية	١٩
ثقافة العرب قبل الإسلام	١٩
أثر الإسلام في بناء الثقافة ونشرها	٢٠
تطور نشأة علم الثقافة	٢٢
مراحل تطور علم الثقافة الإسلامية	٢٦
تسمية هذا العلم بالثقافة الإسلامية	٢٨
تاريخ تدريس هذا العلم	٣٠
ب – سمات منهج علم الثقافة الإسلامية	٣١

أنواع التأليف في علم الثقافة الإسلامية	٣٥
أسس الكتابة والبحث في علم الثقافة الإسلامية	٣٦
الفصل الثاني: أهمية علم الثقافة الإسلامية وخصائصه	٣٧
أ – أهمية علم الثقافة الإسلامية	٣٧
ب– خصائص علم الثقافة الإسلامية	٤١
الباب الثالث : مصادر علم الثقافة الإسلامية ومحاوره	٤٦
الفصل الأول :مصادر علم الثقافة الإسلامية	٤٧
أسلوب القرآن	٤٩
الثمرات التي يجنيها علم الثقافة الإسلامية من اعتماده على القرآن	٥٠
أسلوب السنة	٥٢
حاجة علم الثقافة الإسلامية إلى الوحي	٥٣
التراث الإسلامي	٥٤
أهمية الانتفاع بالعقل ومدى استقلاله	٥٥
درجة اعتماد علم الثقافة الإسلامية على المصادر السابقة	٥٦
الفصل الثاني : محاور علم الثقافة الإسلامية	٥٧
القسم الأول – الاتجاه العام	٥٧
القسم الآخر – الاتجاه النوعي	٥٨
الباب الرابع : ركائز الثقافة الإسلامية والتصورات الأساسية	٦٢
الفصل الأول : ركائز الثقافة الإسلامية	٦٣
المرتكز الأول – العقيدة	٦٣
المرتكز الثاني – الشريعة	٦٨

المرتكز الثالث – الأخلاق	٧١
الانسجام التام بين هذه المرتكزات	٧٨
الفصل الثاني : التصورات الأساسية (الحقائق الكبرى)	٧٩
أولا – الإنسان ثانيا – الله تعالى ثالثا – الحياة رابعا – الكون	٧٩
واقعية الثقافة الإسلامية في نظرتها للثقافات الأخرى	٩٢
موقف الثقافة الإسلامية من الثقافات الأخرى	٩٤
موقف الثقافة الغربية من ثقافتنا	٩٦
التفاهم والتعايش مع الثقافة الغربية	٩٨
الباب الخامس :التحديات التي تواجه الثقافة الإسلامية	١٠٠
الفصل الأول :الاستشراق والتبشير والاستعمار	١٠٢
الاستشراق	١٠٢
التبشير	١٠٦
الاستعمار	١١٠
الفصل الثاني : العولمة	١١٥
نشأة النظام الجديد (العولمة)	١١٧
دوافع العولمة	١١٩
العولمة الثقافية	١٢٠
معالم العولمة الثقافية الغربية	١٢٤
أخطار العولمة الثقافية	١٢٧

الموقف من العولمة الثقافية	١٢٨
الباب السادس : حقوق الإنسان العامة	١٣٣
تعريف الحقوق	١٣٤
نبذة تاريخية عن حقوق الإنسان :	١٣٥
حقوق الإنسان العامة	١٣٨
الفصل الثاني : حق المساواة	١٣٩
معنى المساواة في اللغة والشريعة	١٣٩
أسس المساواة في الشريعة الإسلامية	١٤١
الخاتمة	١٤٥
فهرس المصادر والمراجع	١٤٦